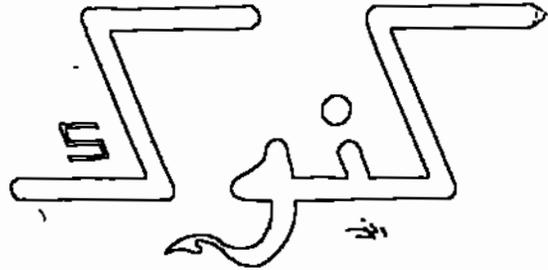


روائع المسرح العالمي  
٢٥



أو انتصار الطب

تأليف  
جول رومين  
ترجمة  
يحيى همت

مراجعة  
الدكتور ريمون فرنسيس  
تقديم  
الدكتور محمد مندور

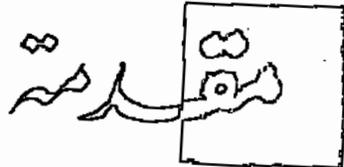
الجمهورية العربية المتحدة  
وزارة الثقافة والإرشاد القومي  
الإدارة العامة للثقافة

” مثلت هذه المسرحية لأول مرة في باريس على مسرح كوميدي شانزليزيه يوم ١٥ من ديسمبر ١٩٢٣ تحت إدارة چانك. هيرنو ، وتولى لويس چوفيه الإخراج والديكور . وقام بأداء أدوار النساء : كوتان لامير - أرماپيرو - ايزارينسار - ماج بيروبيه - ي تسييران . وقام بأدوار الرجال : لويس چوفيه - أ . هيرو - افقريف - جوليه ، بن دائو - ساليس - مامى - سانت ايل ... “

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٦١



## مسرحية كنوك ... والهزلية الجيدة

بقلم الدكتور محمد مندور

مسرحية « كنوك أو انتصار الطيب » هي بإجماع النقاد وأساتذة الأدب خير ما كتب مؤلفها الكاتب الفرنسي المعاصر « جيل رومان » ، بل هي المسرحية التي يقوم عليها الجانب الأكبر من مجد مؤلفها ، فيها عرف وذاع صيته في العالم كله ، وذلك بالرغم من أنه شاعر وقصاص وفيلسوف لا كاتب مسرحيات فحسب ، وكل ذلك بالرغم من أن كثيرا من أساتذة ونقاد الأدب المسرحي وبخاصة في العالم الأنجلوسكسوني يسمون هذه المسرحية فارس Farce أى هزلية ، فهي تسمية - إذا صح إطلاقها على هذه المسرحية الجيدة -

جديرة بأن نجعلنا نغير حركتنا العام على هذا النوع من المسرحيات  
الذى ننظر إليه دائماً نظرة تضعه فى أسفل السلم بالنسبة  
للأنواع الأخرى من المسرحيات ، فالمزلية ، بمعناها الدارج ،  
مسرحية لا تستهدف إلا الإضحاك ، وقلما يودى فيها الضحك  
وظيفة جادة ويكفيها أن تسرى عن مشاهدتها ، وذلك بينما  
تعمر مسرحية كنوك بالحقائق النفسية والاجتماعية العميقة  
مغلقة فى روح السخرية المرة والتهكم اللاذع اللذين يمتاز  
بهما مسرح جيل رومان ، وإن تكن وقائع المسرحية تبدو  
مبالغاً فيها إلى حد يكاد يبعدها عن الواقع ، وبالتالي عن  
المعقولة وإمكانية الحدوث وهما شرطان يتوفران عادة  
لما نسميه الملهة النقدية أو الكوميديا الاجتماعية ، وهذه  
قضية سننظر فيها نظرياً وتطبيقياً بعد أن نقدم أولاً المؤلف  
جيل رومان إلى القراء .

ولد لويس فاريجول رومان وشهرته جيل رومان فى  
قرية سان جوليان شاتيل بفرنسا سنة ١٨٨٥ ، ولا يزال حياً  
حتى الآن ، وبعد إتمامه لمرحلة التعليم العام فاز فى مسابقة  
مدرسة المعلمين العليا وهى مدرسة لا يلتقى فيها الطلبة  
دراساتهم العليا ولا يحصلون منها على درجات علمية ، بل

يدرس طلبتها في الجامعة مع غيرهم من الطلبة . وما هي إلا بمثابة قسم داخلي يقيم فيه الطلبة المتفوقون الذين يجتازون مسابقتها بعد إعداد أنفسهم لهذه المسابقة على إثر حصولهم على البكالوريا والانتهاؤ من مرحلة الدراسة الثانوية ، وهم مقيمون في هذه المدارس مجانا ، بل ويمنحون مكافأة شهرية ، وفي هذه المدارس مكاتب كبيرة يستفيد بها طلبتها . واجتياز مسابقة مدرسة المعلمين العليا أمر شاق . ولذلك يعتبر الفائزون في مسابقتها صفوة الشبان ويظل كل واحد منهم يعتز طول حياته بقبوله فيها . وبعد أن حصل جيل رومان على ليسانس الدولة في الفلسفة من السوربون ، أخذ يعد نفسه لتقديم مسابقة الأستاذية ( الأجرجاسيون ) وهي مسابقة ضخمة عنيفة تعقدتها الجامعة كل عام ليتقدم إليها الطلبة بعد التحضير لها لمدة عامين كاملين . والغاية منها هي اختيار الشبان النابغين الذين يصلحون للتدريس بالمدارس الثانوية ، ومن يفوز في هذه المسابقة لا يعتبر مدرسا ، بل يعتبر أستاذا بكل معاني الكلمة . ولقد فاز جيل رومان في هذه المسابقة سنة ١٩٠٩ فأصبح بذلك أستاذا في الفلسفة .

ومع ذلك لم ينتظر جيل رومان حصوله على لقب

الأستاذية لكي ينادى بمذهب فلسفي اجتماعي جديد سماه  
مذهب « الكلية » Unanisme الذي أعلنه منذ سنة ١٩٠٣  
وهو مذهب أو منهج يرى إلى تصوير الروح الموحدة التي  
تحرك كل مجتمع بشري ، وقد أوحى إليه بهذه الفكرة  
تعاليم أساتذة علم الاجتماع الذين تلقى عنهم العلم في السربون .  
من أمثال رائد علم الاجتماع الحديث العالم الكبير « دركاييم »  
وزملائه من كبار الأساتذة مثل : « ليفي بريل » وغيره .

وبالرغم من دراسة جيل رومان للفلسفة بفروعها المختلفة  
وتخصصه فيها ، إلا أن مواهبه الشعرية والأدبية ، قد أخذت  
تظهر منذ وقت مبكر ، إذ رأيناه يشترك مع عدد من شبان  
جيله الأدباء والشعراء أمثال « شنفيير » و « ديهاميل »  
و « فيلدراك » و « أركوس » في تأسيس ما يعرف في تاريخ  
الأدب الفرنسي المعاصر : بـ « دير كورتيل » ، ولهذا الدير  
قصة أدبية تاريخية بالغة الطرافة خلدها أحد أعضاء الدير وهو  
رينيه أركوس في صفحات شعرية جميلة نثبها هنا لطرافتها  
بالرغم من سبق نشرنا لها في المقدمة التي كتبناها لترجمتنا  
لكتاب « دفاع عن الأدب » لمؤلفه جورج ديهاميل .

يقول رينيه أركوس : « كنا في أوائل خريف سنة ١٩٠٦

فى يوم أحد مطير عندما اكتشفنا - فيلدراك وزوجته  
وأنا - الدار التى أصبحت «الدير» . داراً محوة الطلاء  
لم يسكنها أحد منذ سنين ولكنها جليلة المظهر بشرقاتها  
وواجهتها ذات الطوب الأحمر ونوافذها الخضراء . كانت  
محاطة ببستان أشعث جمع أشجاراً من كافة العناصر ، وبأقصى  
البستان حديقة فواكه فيها عدد كبير من الأشجار ( لقد  
اتخذنا من الفواكه غذاءنا صيفاً بأكمله ) ثم حشائش وكوخ ،  
وطرق عمت مسالكها الأعشاب المسرفة . وكانت ماثت من  
الطيور قد آوت إلى هذا المنزل المهجور منذ زمن طويل .  
وبعد هذه الزيارة بخمسة عشر يوماً كان عقد الإيجار الذى  
جعلنا سادة «الدير» قد وقع . وهذه الوثيقة الخزينة التى  
لا تزال بين يدي تحمل خمسة إمضاءات لمؤسسى الدير :  
رينيه أركوس ، جورج ديهاميل ، ألير جريز ، هنرى  
مارتان ، شارل فيلدراك ، ولقد أضفنا فى قلوبنا اسم  
«ليتار» الطباع الذى علمنا مهنتنا والذى قاسمنا حتى النهاية  
أيام نعيمنا وأيام بوئنا .

وكان من أول ما حرصنا عليه أن «نممرنا» على المدخل  
«بافطة» كان المسارون يستطيعون أن يقرأوا عليها  
أبيات ربلية :

هنا . ادخلوا . ادخلوا على الرحب والسعة  
ادخلوا تجلدوا مأوى وحصنا .  
يقى من الخطأ الأثيم الذى طالما احتال  
بأسلوبه الكاذب فسمم العالم .  
ادخلوا لننضم هنا الإيمان العميق .  
وتحت هذه المقطوعة كتبنا المقطوعة الأخرى التى تقول :-  
هنا لا تدخلوا أيها المزمعون  
أيها القروء العتاق .  
أيها الأقدار المتبعجون .

وهنرى مارتان ، السبامى الشاب الذى كنا قد تعرفنا  
إليه والذى أعجبته مشاريعنا ، هو الذى حصل لنا على  
أدوات الطباعة ووضعها تحت تصرفنا . وفيلدراك الذى  
كان متزوجا وأبا لأسرة أتى بعائلته كلها ووضع كلا منا  
فى غرفة الانتظار - التى كانت غرفتنا المشتركة - أعز  
ما يملك من أثاث .

ثم تعلمنا مهنتنا ، مهنة الطباعة : فى سرعة أدهشت  
« لينار » ، والمجلدان الأولان اللذان حملنا شارتنا كانا « أساطير  
ومعارك » لجورج ديهاميل . و « أساسة الأمكنة » ، لرينييه  
أركوس . ولقد نشر « الدير » ما يقرب من عشرين مجلدا ، ثم .

إن روبرت دي مونتسكيو لكي يظهر لنا عطفه ، عهد إلينا بديوان شعر له « باريسفلورا » ولكنه طلب إلينا الكثير إذ حملنا على إعادة طبعه أكثر من مرة ، وفي النهاية ظهر أن هذه الصفقة كانت من أسوأ الصفقات التي عقدناها .

وكان الكثير من الفنانين الشبان يأتون إلى الدير ضيوفا بضاحية كورنيه ، كانوا يأتون يوم الأحد جماعات . لقد أصبحت دارنا هدفا للنزهة . وكان يزورنا أيضاً أشخاص عجيبيون ، كان من بينهم رجال ذوو قمصان حمراء وأخرى سوداء ونباتيون وكائنات من هنا وهناك ، ونساء دميات ذريبات اللسان يدعوننا إلى أن نعيش وفقاً للمذهب . أى مذهب ؟ ذلك ما لم نعلمه قط على وجه التحقيق . وأراد أحد الإشرافيين أن يحملنا على بناء عدة أكواخ خشبية ببستاننا ، بلاريب لكي نربي فيها جيلا من التلاميذ ! وذات صباح أتانا على دراجة شاب قوى عضلات الأرجل ذو عينين في لون السماء هو چيل رومان الذي كان إذ ذاك طالبا بمدرسة المعلمين العليا ( النورمال ) ، أتى حاملا مخطوطة « الحياة الكلية » Vie unanime التي قرأناها في نفس المساء بصوت مرتفع . يالها من حماسة ! وإن تكن الصياغة ، ونثرية

الديوان ، قد حملنا بعضنا ، من لحظة إلى لحظة ، على أن  
يقطب حاجبيه ، إلا أننا أحسنا جميعاً أن شاعرا قوى  
الأصالة ، نادر البكورة قد ولد .

وحمل الربيع إلى « الدير » مستأجرين جددا : مرسيرو  
وزوجته ( أتيامن موسكو حيث تزوجا ) ، وبرتولدلمان ،  
ودوتمار ، وألبير دويان وزوجته ، وبعض الأصدقاء  
الآخرين . وكان الموسيقيون يأتون ليلعبوا فيه موسيقاهم ،  
والمصورون يعرضوا لوحاتهم ، والشعراء ليعلموا شعرهم  
ينشده ممثلون وممثلات ، ولقد أصبحت إحداهن فيما بعد  
( بلانش ألبان ) زوجة لديهاميل ، ودامت المغامرة أربعة  
عشر شهرا . وبعد شتاء آخر قاس اضطررنا إلى أن نفرق ،  
وأن نترك « الدير » الذى لم نعد نستطيع أن نعيش فيه .

يجب أن يعزى الفضل إلى حدثنا قبل كل شئ . لقد  
كان ينقصنا النظام ، إذ كنا لا ننصت لغير هوانا . ثم إننا  
كنا نتابع غايات مختلفة ، غايات لم نكن قد اتفقتنا كلنا إلى  
تحديدتها على وجه دقيق .

بقيت لدى كلمات قليلة هى : أن الدير لم يكن قط

مدرسة شعرية . لقد كان مجرد جماعة من الرجال يريدون بعملهم أن يعيشوا معاً في حياة حرة ، وإذا كنا قد أظهرنا عندئذ عطفنا نحو كل الشعراء والكتاب الذين لاحوا لنا موهوبين ، فإن ذلك لم يكن لأرض خفي في أن نجندهم تحت راية ما . لم يكن لنا مذهب مشترك ، بل لقد كان يتفق أحيانا أن يسخر بعضنا من بعض ، بل أستطيع أن أقول مع فلدراك أو ديهاميل ، أنه قد لاح لنا أن فلانا من رفاقنا كان يتكلم ويكتب بلغة غريبة عن لغتنا .

لقد أظهر النقاد كثيراً من القرايات الدقيقة بين فلدراك ورومان وديهاميل وبينى ، ولن يخطر ببال أحد منا أن ينكرها . بل إنها بلاريب قد امتدت إلى شعراء آخرين : جوف وشنشير ، وديرتان . . . الخ ، ولكنه لم تكن هناك مدرسة أصلاً ، لقد كنا جميعاً نبغض أشد البغض روح التجنيد .

ورينيه أركوس على حق فيما يقرره من أن جماعة الدير لم تكون مدرسة أدبية متفقة فيما بينها على فلسفة إنسانية أوفنية ، وذلك بالرغم من سيطرة شخصية : چيل رومان ، ومحاوله فرضه مذهب الكلية على الجماعة كلها ، ولقد

أوضحت في مقدمتي لكتاب « دفاع عن الأدب » كيف أن جورج ديهاميل مثلا كان ينفر كل النفور من فلسفة جيل رومان وبخاصة عندما كانت تنطرق إلى السلوك الأخلاقي والاجتماعي على نحو ما نحس من بعض عبارات جيل رومان الخارجية مثل قوله : « لا نفر من المزاوجة ، بل احذر أن تكون أحد اثنين على نحو دائم ، أو « إن الأسرة والزواج أحجار عثرة تقوم في سبيل الكلية » . ومع كل ذلك ، فإن طرفي التقيض من ناحية الفلسفة الأخلاقية الاجتماعية وهما جورج ديهاميل وجيل رومان ، هما اللذان اکتسبا شهرة عالمية واسعة بضخامة إنتاجهما وجودة الكثير منه .

ونقصر حديثنا هنا على جيل رومان ، فنذكر أن مؤلفاته الكثيرة تتوزع بين ثلاثة فنون أدبية كبيرة :

- ١ - القصة الطويلة مثل : « القرية التي بعثت » سنة ١٩٠٦ ، و « سلطات باريس » سنة ١٩١١ و « موت إنسان » سنة ١٩١١ و « الأصدقاء » سنة ١٩١٣ و « دونو جوتونكا » سنة ١٩٢٠ وثلاثية : « الروح أو لوسين » سنة ١٩٢٢ و « إله الأجساد » سنة ١٩٢٨ و « عندما السفينة . . . »

سنة ١٩٢٩ ، ثم سلسلة : « الرجال الطيبون » التي تعتبر أشهر قصصه .

٢ - دواوين شعر مثل : « روح الناس » سنة ١٩٠٤ و « الحياة الكلية » سنة ١٩٠٤ : ١٩٠٧ . و « أناشيد وصلوات » سنة ١٩١٣ و « أغنية عشر سنوات » من سنة ١٩١٤ : ١٩٢٤ وقد نشرها سنة ١٩٢٨ كما ألف مع شفيير سنة ١٩٢٣ كتابا عن « نظم الشعر » عرض فيه منهجه في موسيقى الشعر التي يراها في تكرار صوت بسيط قد يكون صائتا أو صامتا وليس من الضروري أن يأتي في آخر البيت .

٣ - سلسلة من المسرحيات مثل : « الجيش في المدينة » سنة ١٩١١ و « كوميدير العجوز » سنة ١٩٢٠ و « السيد تروهاديك مأخوذا بالدعارة » سنة ١٩٢٢ ، و « كنوك أو انتصار الطب » سنة ١٩٢٣ و « زواج السيد تروهاديك » سنة ١٩٢٥ و « البراقة » سنة ١٩٢٥ و « الديكتاتور » سنة ١٩٢٥ و « ديميتريوس » سنة ١٩٢٦ و « أميديه » سنة ١٩٢٦ و « جان سبي الصراحة » سنة ١٩٢٦ . وفي سنة ١٩٢٩ اشترك مع ستيفان زفايج في اقتباس مسرحية « فولپوني » عن

الشاعر الإنجليزي بن جونسون ، وهى المسرحية التى عرضت على جمهور القاهرة باسم « عبيد الذهب » ، ثم مسرحية « جان موس » سنة ١٩٣٠ و « دولوجو » سنة ١٩٣١ و « الملك المقنع » فى نفس العام .

وأما فى مجال التفكير الفلسفى فله فضلاً عن نظرية « الكلية » ، نظرية أخرى تقول إن بعض الأشخاص يستطيعون أن يبصروا دون الاستعانة بالأعين . وقد بسط هذه النظرية فى كتابين سمي أحدهما : « الرؤية الخارجة عن الحدفة » أى اللاحدقية ، وسمى الآخر « حاسة الرؤية بلا أعين »

ويجمع النقاد على أن تفوق جيل رومان الحق ، إنما كان فى مجال المسرح ، وذلك بفضل روحه الفكهة اللاذعة ، وسخريته النافذة فى نقد الأخلاق ، كما يجمعون على أن مسرحية « كنوك أو انتصار الطب » هى رائعتة الفذة التى عرف بها فى العالم أجمع ، ومن الواضح أن الروح الفكهة اللاذعة لا يوانيتها فن الشعر ، وبخاصة إذا كان صاحبها مكوناً تكويناً فلسفياً يحمله على التحليل النظرى الذى لا يتسع له عادة وعاء الشعر ، وقد تصلح له القصة ، ولكن مجاله الحق

هو الحوار المسرحى ، وهو ما نبغ فيه جيل رومان أكثر من نبوغه فى فن القصة أو فى فن الشعر حيث يغلب على دواوينه التشكير الفلسفى الجاف ، بل المتعسف أحياناً فضلاً عن النثرية التى تذهب بطلاوة الشعر وجماله .

## كنوك وفن الهزليات

ينعقد الإجماع على أن هذه المسرحية من الروائع العالمية، ومع ذلك لاحظت أن الأساتذة والنقاد الأنجلوسكسونيين يسمونها هزلية Farce على نحو ما ورد فى الموسوعة الأبيجدية. لأكسفورد المعروفة باسم : المرشد إلى الأدب الفرنسى Companion to French literature فى أى مدى ينطبق عليها هذا الوصف ؟

تلخص هذه المسرحية فى السخرية اللاذعة من الطب والأطباء . وهو موضوع من مواضيع الكوميديا التقليدية. وبخاصة منذ عصر مولير الذى طالما سخر من الأطباء ومن مرضى الوهم ، ولكن مسرحية « كنوك » لا تنتقد واقماً فعلياً أو ممكن الوجود ، بل تفترض فروضاً مسرفة وإن يكن هدفها.

النهائى طبعاً ، هو نقد حيل بعض الأطباء لجمع المال عن طريق الإيهام بالمرض .

فالدكتور بارباليد عمل فى عيادته بقرية « سان موريس » سنين طويلة قد تبلغ الربع قرن ، ومع ذلك لم يصب نجاحاً ، ولا جمع ثروة مما اضطره إلى البحث عن مشر لهذه العيادة لكي ينتقل للعمل فى مدينة كبيرة هى ليون ، واهتدى إلى كنوك ليبيعه هذه العيادة ، بل ويبيعه أيضاً السيارة العتيقة التى كان يستخدمها فى تنقلاته بالريف . ونحس من احتيال بارباليد على إقناع كنوك بصلابة السيارة المستهلكة وتفضيلها على السيارات الجديدة التى يزعم أنها مصنوعة من الصفيح — نحس بأن بارباليد هو الآخر رجل محتال ، بل وأن زوجته وسائق عربته يتآمران معه فى هذا الاحتيال وتبدأ المسرحية ذات الفصول الثلاثة بمشهد العربة العتيقة وقد ركبا الدكتور بارباليد وزوجته وكنوك ليصعدوا الجبل إلى قرية سان موريس ، وكلما أصاب السيارة عطل اجتهد بارباليد وزوجته فى إيهام كنوك بأن السائق يريد إراحة السيارة بعض الوقت ، بل ويحاولان صرفه عن ملاحظة ما يجريه فيها السائق من إصلاح ، حتى إذا وصلوا إلى القرية الجبلية ، سلم

بارباليد العيادة إلى كنوك ، وحرر معه عقد البيع للعيادة والسيارة ، على أن يدفع كنوك ثمنهما أقساطاً على فترات محددة :

وفي القرية يعلم كنوك أن سبب فشل بارباليد يرجع إلى أنه لم يكن يتكالب على مهنته ، بل كان ينفق الكثير من وقته للزخمة ، أو في ألعاب التسلية بفندق القرية ، كما كان يهون على المرضى خوفهم ، ويصف لهم أبسط الأدوية وأرخصها ويدعوهم إلى الثقة بقدرة الجسم على المقاومة الذاتية حتى ضج صيدلى القرية من كساد بضاعته ، بل وانصرف أهل الناحية جميعاً تقريباً عن الطيب وعبادته ، مما دعا كنوك إلى أن ينتهج نهجاً مضاداً استخدم فيه كافة الحيل والوسائل الجهنمية لابتزاز المال ، فابتدأ بأن استدعى الصيدلى وأقنعه بأن العمل سينشط في صيدليته وأوصاه بأن يجلب إليها الأدوية الغالية الثمن كما استدعى المسيو برنار معلم القرية واتفق معه على أن يزوده بمجموعة من الأمراض على أن يعرضها في محاضرات يلقيها بمقر المدرسة على الجمهور عن شتى الأمراض وبخاصة الأمراض المحلية ، موضحاً المعلومات التي يقدمها إليه كنوك

بالصور التي يعرضها بالفانوس السحري . واستدعى أيضاً  
منادى المدينة لكي يكلفه بأن يطوف بالقرية والقرى المجاورة  
معلنا أن طبيب القرية الجديد ، قد قرر أن يفتح عيادته بجانبنا  
يوم السوق من كل أسبوع وهو يوم الإثنين لفحص جميع  
سكان المنطقة وطمأنتهم على حالتهم الصحية . وما إن أتم  
كنوك ترتيباته الجهنمية حتى أخذ جميع أهل المنطقة يتوافدون  
على عيادته للفحص المجاني يوم الإثنين . وابتداء من هذه  
اللحظة تمر أمامنا طائفة من المشاهد المضحكة اللاذعة التي  
نرى فيها عدداً من الرجال أو النساء يدخلون عيادة كنوك  
وهم أصحاء ، أو على الأقل بادي الصحة ويخرجون منها مرضى  
أو مؤمنين أنهم مرضى بعد أن أوهمهم كنوك بكل ذلك  
وأمرهم بأن يخرجوا من عيادته إلى منازلهم ليأووا في فراشهم  
على أن يعودهم فيه ، ويطب لهم ، بحيث يتولد في نفوسنا  
إحساس واضح بأن أهل القرية وضواحيها قد لزموا  
جميعاً الفراش ، بل ويحل موعد القسط ، ويصل الدكتور  
بارباليد إلى سان موريس ليتسلم من كنوك هذا القسط ،  
ويعلم بارباليد وهو في الفندق بالنجاح الفظيع الذي أحرزه

كنوك حتى صعب على بارباليد أن يجد غرفة خالية  
بالفندق الذى تحول إلى شبه مستشفى ، لولا توسط كنوك  
لدى إدارة الفندق . ويندهش بارباليد مما يرى<sup>٦</sup> ويسمع ،  
ولكنه لا يكاد يلتقى بكنوك ويدور بينهما الحديث  
ويستمع إلى فلسفة كنوك التى تزعم أن الأصحاء ليسوا  
إلا مرضى غافلين حتى يساوره هو الآخر الشك فى أنه  
مريض ، ولكن كنوك يعتذر بكثرة أعماله  
وواعيده عن فحص بارباليد فوراً ويعده بإجراء  
هذا الفحص بعد الظهر . وهنا تنتهى المسرحية ، أى بعد  
أن أشعرنا المؤلف بأن كنوك لم ينجح فى إلزام جميع  
أهل القرية وضواحيها فراش المرض فحسب ، بل ونجح  
فى إيهام الدكتور بارباليد نفسه بأنه مريض غافل عن  
مرضه .

وشخصية « كنوك » هى التى تعطى المسرحية طابع المازلية .

فنحن نعلم منذ الفصل الأول ومن الحوار الذى  
يجرى بين كنوك والدكتور بارباليد ، أن كنوك لم يدرس  
الطب فى جامعة ، ولم يحصل على مؤهل ، وإنما زاول المهنة

احتياالا ، وها هو الحوار الشيق اللاذع الذى نعلم منه ذلك :

الدكتور : هذا كلام غير مفهوم .

كنوك : بالعكس هى مسألة فى غاية البساطة ،

ومنذ عشرين سنة مضت تحليت مضطرا عن دراسة الآداب واشتغلت بائعاً فى قسم « الكرفقات » فى متجر كبير بمرسيليا ، ثم فقدت عملى وأخذت أتسكع فى الميناء وقرأت إعلانياً عن سفينة حولتها ١٧٠٠ طن مسافرة إلى الهند تطلب مشرفاً صحياً ولا تشترط أن يكون حاصلها على لقب دكتوراه ، فاذا تفعل لو كنت مكافى ؟ :

الدكتور : لا أفعل شيئاً بطبيعة الحال .

كنوك : أفهم هذا منك ، فأنت لا تعشق مهنة

الطب ، أما أنا فقد تقدمت ، وإذ كنت أمقت المواقف المرية - فقد أعلنهم منذ دخولى قائلاً : « أيها السادة كنت أستطيع أن أزعم لكم أننى دكتور ولكنى فى الواقع لست دكتوراً ، بل أصرح لكم بما هو أدهى - إننى لا أعرف فى أى موضوع سأكتب رسالتى ، فكانت إجابتهم أنهم لا يتمسكون بلقب دكتور ، وأن موضوع رسالتى

لا يهمهم في شيء ، فرددت على الفور : « مع الاعتراف  
بأننى لست دكتوراً ، إلا أتنى أود - لأسباب تتعلق  
بالكرامة وحسن النظام - أن يطلق على فى السفينة لقب  
دكتور » ، فقالوا إن هذه المسألة طبيعية ، ومع ذلك  
لبثت مدى ربع ساعة أشرح لهم الحجج التى زحزحتنى  
عن التمسك بالصدق والأمانة وحملتنى على المطالبة بلقب  
لا حق لى فيه ولا يرضاه ضميرى . وهكذا أطلت الحديث  
حتى لم يبق أمامهم سوى ثلاث دقائق للبت فى تحديد  
مرتبى .

الدكتور : ولكن أصحیح أنه لم يكن لديك أى  
إلمام بالطب ؟

كنوك : إفهمنى ! إننى كنت منذ طفولتى أقرأ  
بشغف فى الصحف كل إعلان عن علاج طبى أو دواء ،  
وإذا اشترى أبواى علبة حبوب أو زجاجة دواء سائل ، نزع  
الورقة الملفوفة عليها وقرأت شرحها لطريقة الاستعمال ،  
فرا بلغت التاسعة من عمرى حتى كنت أحفظ عن ظهر  
قلب نصوصاً طويلة عن عوارض الإمساك ، وأستطيع

الآن أن أتلو عليك من الذاكرة نص خطاب بديع أرسلته  
الأرماة : م . ع . من مدينة بروج عام ١٨٩٧ إلى  
المعمل الأمريكي الذى ينتج دواء ضد الإمساك اسمه :  
« الأعشاب السحرية الأكيدة المفعول » . أتريد ؟ . . .

الدكتور : لا تتعب نفسك إننى أصدقك .

وإذن فكتوك ليس طبيبا بل محتالا ، ابتدأ سلسلة  
احتياالاته باللعب على لفظه دكتور ليوم أنه طبيب ، وإن  
لم يحصل على درجة الدكتوراه . وهذا هو جانب الهزل  
فى المسرحية ، ولكن أبيع لنا ذلك تسمية المسرحية  
كلها فارس Farce ؟ وليست المسألة مسألة اصطلاح  
أو خاتمة نضع فيها هذه المسرحية أو ننقلها إلى خاتمة أخرى ،  
بل مسألة فنية هامة ، لأن وصف مسرحية بأنها هزلية  
يخرجها من الأدب الرفيع إلى الأدب الرخيص . وللبت  
فى ذلك نوضح أولا مدلول لفظه هزلية وتاريخ فن الهزليات  
فى إيجاز .

لقد اصطللحنا فى لغتنا العربية الحديثة على ترجمة لفظه  
كوميديا بلفظة ملهاة ، وأما لفظه فارس Farce فنقترح

ترجمتها بلفظة هزلية ، تميزاً لها عن الملهاة أى عن الكوميديا .  
ولفظه فارس Farce ، معناها الاشتقاقى فى اللغة الفرنسية  
« الحشو » الذى يحشى به ورق العنب أو « الكوسة » مثلاً !  
وقد تطرقت هذه اللفظة إلى لغة المسرح منذ القرون الوسطى  
إذ أطلقت على مشاهد هزلية كانت تعرض فى قترات  
الاستراحة بين كل فصل وآخر من فصول المسرحيات الدينية  
التي كانت منتشرة فى القرون الوسطى ، وشيئاً فشيئاً أخذت  
تلك المشاهد الهزلية تستقل بذاتها لتكون فناً مسرحياً قائماً  
بنفسه وبذلك نشأت المسرحية التي تسمى الآن بالفارس ؛ أى  
الهزلية ، وهي مسرحية لا هدف لها غير الإضحاح . وفى الغالب  
تعتمد فى ذلك على النكات اللفظية والحركات البهلوانية  
والمواقف غير المعقولة الحالية من كل دلالة . وفى الهزلية  
كثيراً ما يصعب تمييزه فى تاريخ الأدب الدرامى عن أنواع  
أخرى من المسرحيات الفكاهية الخفيفة ، السطحية الهدف ،  
مثل ما عرف فى إيطاليا ، وانتقل منها إلى البلاد الأوروبية  
الأخرى باسم الكوميديا الفنية ، وهي كوميديا كان الممثلون  
يرتجلونها ؛ ومن أشهر هؤلاء الممثلين السيد « بنظلون » والسيد

« سكاراموش » ، ثم نوع آخر ازدهر في أحد وديان فرنسا  
وعرف باسم هذا الوادي وهو فن « الثودفيل » .

والآن حل نعتبر مسرحية « كنوك » كوميديا نقد  
اجتماعى وأخلاقى ؛ أى « ملهاة » أم نعتبرها هزلية لاستهداف  
غير الإضحاك بالوقائع والمواقف غير المعنولة التى يضع  
معها كل هدف اجتماعى أو أخلاقى .

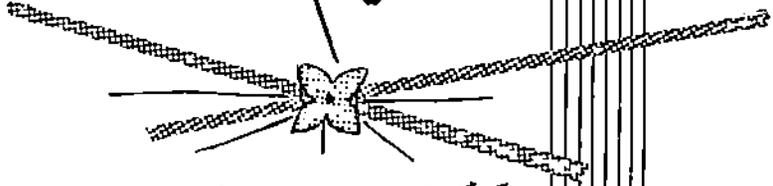
الواقع أن هذه المسرحية الرائعة تتضمن شخصيات  
وأحداثاً تبدو بعيدة عن واقع بلد متحضر مما يقربها من  
الجزلية ، ولكننا نلاحظ من جهة أخرى أن ما يبدو غريباً فيها  
قد يكون مجرد تجسيم ومبالغة لواقع يستحق النقد والسخرية ،  
وهى فوق كل ذلك تتضمن فلسفة نفسية واجتماعية لاشك  
فيها، فن الناحية النفسية، نحس فيها بتحليل دقيق لقدرة الإنسان  
على إيهاام غيره وإيهاام نفسه ، بل إن فكرة كنوك الأساسية  
التي يسميها رسالته لنيل الدكتوراه، قد لا تخلو من صدق، وهى  
زعمه ، بأن الأصحاء مرضى غافلون ، فهذه حقيقة كثيراً  
ما تشهد بها تجارب الحياة وإن يكن التعميم يفسدها، كما يمكن  
أن يفسد كافة الأحكام ، والمسرحية فوق ذلك تتخللها  
الفلسفة الاجتماعية التي تلقاها جيل رومان عن أساتذة علم



حازته منذ أن عرضت أول مرة على كوميديا الشانز ليزيه سنة  
٩٢٣ وقام بإخراجها وتمثيل دور كنوك فيها ، الممثل والمخرج  
الفرنسى العالمى الصيت : لويس جوقيه . ومنذ ذلك التاريخ  
احتلت هذه المسرحية مكاناً ثابتاً فى رصيد أى ريبورتوار  
للكثير من المسارح العالمية فى كافة بلاد العالم .

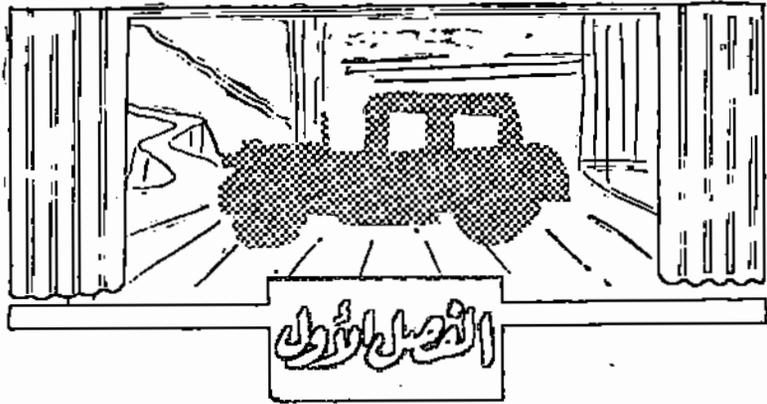
محمد ضرور

## شخصيات المسرحية



* مهنه	* كمنوك
* معلم بار باليو	* الدكتور بار باليو
* معلم ريمو	* موسيقي
* السيدة زاتة الشايبه الدموك	* برنار
* السيدة زاتة الشايبه المنصحي	* منادى البلده
* الخادمه	* فتى قروي - الورك
* صوته ماريه بيرنه مشد	* فتى قروي - النافه
* منة ألقاحه البلده	* سيليوت





« تجرى حوادث هذا الفصل داخل أو حول سيارة من طراز قديم جداً يرجع لسنة ١٩٠٠ - ١٩٠٢ هيكل ضخيم ( هي في الأصل من طراز « فيتون مزدوج » وحولت فيما بعد إلى طراز يشبه « الطوربيد » بفضل إضافة ألواح معدنية عليها ) مستلزمات السيارة من النحاس كبيرة الحجم ؛ ومقدمها حيث المحرك على شكل صندوق صغير ، وتتحرك السيارة من مكانها أثناء بعض مشاهد هذا النصل ويكون التحرك من جوار محطة صغيرة للسكة الحديد ثم تصعد بعد ذلك في طريق جبل ... »

## المشهد الأول

كنوك - الدكتور باربايد - مدام باربايد - جان

الدكتور باربايد : أهذا متاعك بتمامه يا زميلي العزيز ؟

كنوك : نعم هذا كل متاعى يا دكتور باربايد .

الدكتور : سيضعه جان بجانبه ، المقعد الخلفى يسعنا

نحن الثلاثة بسهولة ، السيارة فسيحة

والكراسى الصغيرة الإضافية مريحة ،

شأن بين هذه السيارة والسيارات

الحديثة القميثة .

كنوك : [ يلتفت إلى جان وهو يضع الصندوق ] نخذ بالك

من هذا الصندوق فقد وضعت فيه أجهزة

سهلة الكسر .

[ يبدأ جان فى تكويم متاع كنوك ]

مدام باربايد : هذه سيارة سأتحسر عليها طويلا إذا غلبتنا

الحفاة وبعناها .

[ كنوك يتأمل السيارة بدهشة ]

الدكتور : لأنها في الحقيقة طور جيد ومع طراز  
الفتيون المزدوج التقديم .

كنوك : نعم . . نعم . .

[ يخفى المقدم الأمامي كله تحت أكوام المتاع ]

الدكتور : انظر إلى متاعك كيف اتسع له المقعد  
وبقيت لحان جلسته المطمئنة ، بل ليتك  
جئت بمتاع أكثر لتدرك أن هذه السيارة  
تعنى بكل المطالب .

كنوك : هل بلدة سان موريس بعيدة ؟

الدكتور : على بُعد أحد عشر كيلومترا ،  
ولا يخفى عليك أن بعدها عن السكة  
الحديد بهذا القدر نعمة كبيرة لأنه  
يستقي إخلاص المرضى لطبيبهم فلا يزوغون  
منه لالتماس العلاج في عاصمة الإقليم .

كنوك : ليس بينها إذن وبين المحطة عربية نقل ؟

الدكتور : نعم هناك عربية نقل ولكنها في حالة  
يرثي لها ، بحيث تحبب إليك المشي بدل  
الركوب :-

مدام بارباليد : السيارة هنا لا غنى عنها .

الدكتور : بخاصة للأطباء .

[ كنوك متمسك بمسك مهبذب متحفظ ]

جان : [ إلك الدكتور ] هل أدير المحرك ؟

الدكتور : نعم يا بني !

[ جان ينهمك فى معالجة السيارة : يفتح نظام

المحرك ، ويفك البوجيمات ، ويصب

البترين . . الخ . . الخ . . ] .

مدام بارباليد : [ إلك كنوك ] إن المناظر الطبيعية على

جانبي الطريق جميلة ، وقد سبق للكاتب

زيناثيد فلوريو أن وصفها فى قصة من

أحسن قصصه ، قد نسيت اسمها ،

[ تركب السيارة وتقول لزوجها : ] ألا ترى

أن يكون لك الكرسي الصغير الأمامى

وهكذا يجلس الدكتور كنوك إلى جانبي

ليتملى من المناظر التي نمر بها ؟

[ كنوك يجلس إلى يسار مدام بارباليد ]

الدكتور : السيارة فسيحة بقدر كاف والمقعد الخلفى يتسع لجلوس ثلاثة براحة ، غير أنه يحسن للراكب أن يملك حركته ليتمتع بروية المناظر من حوله [ يقترب من جان ] كل شىء على ما يرام ؟ هل فرغت من صب البنزين ؟ وفى السلندين الاثنىن ؟ لعلك لم تنس أن تنظف البوجهات قليلا ، فهذا أحوط بعد مشوار طوله أحد عشر كياومترا ، ولف « الكاربوراير » بقطعة من القماش أو بمنديل كبير فإنه خير من هذه الخرقه [ يقول وهو يكره راجعا ] بديع ! بديع ! [ يصعد إلى السيارة ] لئننى أجلس على الكرسى الأمامى الصغير المسيح ، ومع ذلك فهو بمثابة فوتيل رحب يفرد ويطوى .

ممدام باربايد : سيظل الطريق يتوالى صعوده حتى نبلغ

سان موريس ، والذهاب إليها على الأقدام  
وبهذا المناع كله عذاب عظيم ، أما بالسيارة  
فهو متعة ساحرة .

الدكتور : كنت يا زهيلي العزيز في الأيام الخوالي  
أداعب آلة الشعر ، ونظمت أنشودة من  
أربعة عشر بيتاً تتغنى بها الطبيعة في هذه  
الأرجاء التي ستكشف لنا ، والمصيبة أنني  
نسيتها :

وقيعان تتوه العين فيها

يرفر ف فوقها علم الجبال

[ جان يدبر المانيشلا بجهد المستميت ]

مدام بارباليد : يا ألبرت لك منذ سنين إصرار على رواية  
هذا البيت وفيه كلمة « قيعان » بدلا من  
كلمة « أغوار » كما كان في الأصل .

الدكتور : صحيح ، صحيح ، [ يسمع صوت انفجار ]  
التي سمعك يا زميلي العزيز إلى الخرك لتتبين  
كيف أنه مطواع لا يحزن ، فما احتاج إلا  
إلى أمة أو لفتين من المانيشلا حتى « شفت »

البنزين ، ثم ها أنت تسمع انفجاره مرة  
ومرة أخرى ، هيا هيا ، فإذا بنا نسير . .  
[ جان يحتل مقعده وتتحرك السيارة وتتتابع المناظر  
شيئاً فشيئاً ] .

الدكتور : [ بعد فترة صمت ] صدقتي يا خلفتي العزيز  
[ يدق على كمنف كنوك ] نعم فقد صرت  
من هذه اللحظة خلفاً لي ، صدقتي حين  
أقول لك إنك أبرمت صفقة طيبة ، نعم ،  
فجميع مرضاي هم منذ هذه اللحظة  
زبائنك ، حتى ولو صادفنا ونحن نقطع  
الطريق مريض ولحني رغم أن السيارة  
تمرق أمامه بسرعة خاطفة وطلب إلى أن  
أعاجله فأني سأتنحي وأقول له رافعاً  
صوتي : « أخطأت مقصدك يا سيدي ،  
فهذا هو طبيب البلد [ يشير بسبابته إلى كنوك ]  
ولن أخرج عن محبتي [ تتوالى انفجارات المحرك ]  
إلا تلبية لدعوة أصولية منك للاشتراك  
معك في كونسولتو لتغليب رأي على رأي

- [ انفجاراتٍ أُخرى من المحرك ] من حسن  
 حظك أنك وقعت على رجل يتخلى عن  
 عمله لا لشيء إلا للتلذذ لتحقيق نزوة  
 طافت برأسه :  
 مدام بارباليد : لقد أقسم زوجي أن يختم حياته العملية في  
 مدينة كبيرة .  
 الدكتور : إنني أشتي أن أنحني أودع الجمهور  
 للمرة الأخيرة من فوق مسرح كبير ،  
 وهذا مني غرور فيه شيء من السخف :  
 أليس كذلك ؟ إنني أحلم بباريس ، ولكن ؟  
 قد أقنع بليون .  
 مدام بارباليد : وذلك بدلا من أن يجمع له هنا ثروة  
 مضمونة في طمأنينة وهدوء .  
 [ كنتك يتأملهما تارة ، ويستغرق في أنكاره تارة ،  
 ويلق نظره إلى المشاهد من حوله تارة أخرى ]  
 الدكتور : لا تسرف في السخرية مني يا زميلي العزيز ،  
 فإنما بفضل هذه النزوة التي طافت برأسي

قد أتيج لك أن ترث عيادتي لقاء تعويض  
زهيد . .

كنوك : أهذا حكلك ؟

الدكتور : إنها الحقيقة السافرة .

كنوك : على كل حال فأنا لم أساوملك قط .

الدكتور : حقاً لقد أحببت فيك ترفعك عن اللعاجة ،

وأعجبنى منك جداً أنك بدأت المناوضة

بالمراسلة أولاً حتى إذا تم الاتفاق على

جميع التفاصيل جئت بنفسك ، وهكذا

أبرمت الصفقة ، كما بدالى ، على طريقة

كرام الناس ، أو قل على الطريقة

الأمريكانية . حقاً أهنئك على هذه النعمة

التي هبطت عليك ، فالعيادة لما دخل

ثابت لا يتعرض لأزمات مفاجئة .

مدام بارباليد : وليس بجانبك منافس آخر لك .

الدكتور : والصيدى الوحيد لا يتجاوز قط حدود

مهنته . .

- مدام بارباليد : وليس هنا شيء يغريك بإنفاق النقود .
- الدكتور : لن تجد وسيلة لهُو واحدة تستنزف جييك .
- مدام بارباليد : في ستة أشهر تكون قد اقتصدت ضعف  
ما أنت مدين به لزوجي .
- الدكتور : وسأرضى أن تدفع هذا الدين على أربعة  
أقساط في السنة . أه ! لولا الروماتيزم  
الذي تعافى منه زوجتي لمست أن أعذل  
عن الصفقة .
- كنوك : مدام بارباليد مصابة بالروماتيزم ؟
- مدام بارباليد : نعم . مع الأسف .
- الدكتور : الجو هنا جو صحى جداً بصفة عامة ،  
ولكنه لا يلائم زوجتي بصفة خاصة .
- كنوك : هل في البلد كثير من المصابين  
بالروماتيزم ؟
- الدكتور : لك أن تقول إنه المرض الشائع عندنا .
- كنوك : هذا أمر في نظري يثير غاية الاهتمام .

الدكتور : نعم عند من يريد التخصص في دراسة  
الرومانزم .

كنوك : [ بهدوء ] كنت أفكر في الزبائن .

الدكتور : حاشا وكلا ، فكما أنت لا يخطر ببالك  
أن تستدر المطر بقرع أجراس الكنائس ،  
فكذلك أهل البلد هنا ، هيهات لهم أن يخطر  
ببالهم طاب الشفاء من الرومانزم بالذهاب  
إلى الطبيب !

كنوك : ولكن هذا شيء يؤسف له .

مدام بارباليد : انظر يا دكتور ! هذا المنظر أمامك كم هو  
بديع . . كأننا في سويسرا .  
[ انمجارات متعانية من المحرك ]

جان : [ همس في أذن الدكتور بارباليد ] يا دكتور !  
المحرك « عطلان » ، يلزمي أن أفك  
ماسورة البزين .

الدكتور : [ جان ] طيب . . طيب . . [ للآخرين ]

كنت بالفعل أريد أن أقترح عليكم  
التريث هنا لحظة .

مدام بارباليد : ولماذا ؟

الدكتور : [ يصوب لنا نظرات ذات معنى ] هذا المنظر  
الجميل . . ألا . . ألا يستحق أن نقف  
عنده ؟

مدام بارباليد : إذا كنت تريد التريث فالمنظر المرتفع  
القادم أكثر جمالا . . [ السيارة تقف ومدام  
بارباليد تدرك حقيقة الأمر ]

الدكتور : لا ضير أن نتريث هناك أيضاً قليلاً  
نتريث ، ولم لا ؟ نتريث مرتين ، وثلاث  
مرات ، بل أربع مرات كما نحب  
ونهمي . من حسن الحظ لسنا في سياق  
[ موجهاً الكلام لكتوك ] هل انتهت .  
يا زميلي العزيز إلى هذه السيارة كيف .  
وقفت بتؤدة وانصياع ، فزمام سرعتها  
وأنت تقودها بظلم دائم في يدك ، وهذه

مسألة هامة جداً في الطرق الجبلية  
[ يتطردوهم ينزلون من السيارة ] ستنضم  
يا زميلي العزيز في وقت أسرع مما تظن  
إلى صفوف أنصار السفر بالسيارات ،  
ولكن حذار من سيارات اليوم الرديئة ،  
إنها حطام مصنوع من الصفح لا من  
الصلب .

كنوك : إن لم ينجدي مرض الروماتزم فتمد  
يسعثنى بدلا منهم مرضى الالتهاب الرئوى  
ومرضى النزلات الشعبية .

الدكتور [ لك جان ] اغتم عزمنا على الوقوف  
ونظف ماسورة البنزين [ لك كنوك ]  
ماذا تقول ؟ التهابات رئوية ونزلات  
شعبية ؟ هذه أمراض نادرة عندنا ، فالجو  
هنا قاس كما تعلم ، إذا ولد الطفل ضعيفاً  
هزيلا مات قبل أن يبلغ الشهر السادس  
من عمره ، ولا يعرض على الطبيب -

بطبيعة الحال ، أما إذا جاوز الأطنال  
منطقة الخطر شبا فنية صحتهم كالحديد .  
بقيت أمراض القلب والشال . ولكن  
المصابين بهذه الأمراض يعيشون في غفلة  
عنها لا يستيقظون قط للخطر الجاثم  
عليهم ، فإذا ما بلغوا الخمسين من العمر  
تخطفتهم الموت في لمح البصر .

كنوك : لا تقل لى إن جييك امتلاً من معالجة  
أموات فارقوا الحياة بقتة ؟

الدكتور : كلا بطبيعة الحال [ يبحث في سره عن بقية  
كده ] فلا تزال هناك أولا حالات  
الأنفلونزا ، لا أقصد حالات الأنفلونزا  
العادية التي لا يابه لها المرضى بحال من  
الأحوال ، بل لعلمهم يرحبون بها لأنها  
تعينهم فيما يزعمون على طرد سموم الجسد  
كلا ، إنما أعنى الأنفلونزا حيث تنفضى  
كوباء في العالم كله .

كنوك : ينبغي إذن أن أنتظر الدورة القادمة

للأنفلونزا العالمية ! هل أمل إبليس  
في الجنة !

الدكتور : لا عليك ! فهذا الذي يحدثك قد عاصر  
منها وباءين ، الأول في شتاء ١٨٨٩ -  
١٨٩٠ والثاني ١٩١٨ .

مدام بارباليد : في سنة ١٩١٨ كان عدد الموتى هنا يزيد  
نسبياً على عدد الموتى في المدن الكبيرة  
[ لروحها ] أليس كذلك ؟ لقد قمت  
بنفسك بمقارنة الإحصائيات .

الدكتور : نعم ، كانت نسبة الوفيات عندنا تفوق  
كثيراً نسبة الوفيات في ثلاث وثمانين  
مقاطعة .

كنوك : وهل لجأوا إلى الطبيب ؟

الدكتور : نعم وبخاصة في نهاية الوباء .

مدام بارباليد : وزاد دخلنا عند حلول عيد القديس  
ميشيل عند موسم حصاد القمح .  
[ يزحف جان تحت العربة ]

كنوك : ماذا تعنين ؟

مدام بارباليد : الزبائن هنا لا يدفعون أجر الطبيب إلا في هذا العيد بعد أن يبيعوا التمرح .

كنوك : ما معنى هذا الكلام ؟ أهو التقويم اليوناني أم التقويم الخيالي ؟

الدكتور : [ وهو يتتبع بنظرة منه بين الحين والحين عمل جانده تحت السيارة ] لم هذه الخواجس يا زميلي . العزيز ؟ إن عيد القديس ميشيل هو يوم مرموق بين أيام السنة وموعده آخر سبتمبر .

كنوك : [ يمدد لحيته ] ونحن الآن في أوائل أكتوبر ! يا للداهية ! . . أما أنت فقد أحسنت على الأقل اختيار الوقت الذي تبيع فيه عيادتك [ يثنى بضع خطوات وهو يفكر ] ولكن لنفرض أن جاءك زبون لتكشف عليه ، أفلا يدفع لك أجرك من فوره قبل انتهاء الزيارة ؟

الدكتور : كلا ، إنه يدفعه في عيد القديس ميشيل  
هذه هي العادة .

كنوك : حتى ولو جاءك لزيارة واحدة عارضة  
بمبئ لن تراه ببنفة العام ؟

الدكتور : في عيد القديس ميشيل -  
[ كنوك بئملها وهو صامت ]

مدام بارباليد : على كل حال فإن الناس هنا في أغلب  
الأمر لا يقتصدون الطيب إلا مرة  
واحدة .

كنوك : ماذا ؟

مدام بارباليد : نعم .. هذا هو الواقع .

[ الدكتور بارباليد يصنع شرود الذهن ]

كنوك : وماذا تفعل في المرضى المواظبين ؟

مدام بارباليد : أى مرضى مواظبين ؟

كنوك : الذين يواظبون على التردد على الطيب  
عدة مرات في الأسبوع أو عدة مرات  
في الشهر ..

مدام بارباليد : [ بل زوجها ] سمعت ما يقوله الدكتور ؟  
يتحدث عن زبائن مثل زبائن القصاب  
أو الخباز . . إنه شأن كل طبيب جديد  
في الكار تخدعه الأوهام ..

الدكتور : [ يضع يده على ذراع كنوك ] صدقني يا زميلي  
العزيب ، إن المرضى هنا هم أحسن صنف  
من الزبائن . . أعني الصنف الذي  
لا ييجور على استقلالك .

كنوك : استقلالي ؟ أتمزح ؟

الدكتور : دعني أوضح الأمر ، أريد أن أقول إنك  
لن تقع تحت رحمة نفر من المرضى قد يتم  
شفاؤهم بين يوم وآخر فإذا خسرتهم  
أفلس ، أما إذا اعتمدت على الجميع  
فكأنك لا تعتمد على أحد .. أفهمت ؟

كنوك : بمعنى آخر لم يبق لي إلا أن أصطاد السمك  
وكان ينبغي أن أحضر معي «سنار» ، وكية  
لابأس بها من الديدان ، ولكن ربما

أجد كل هذا في بلدكم [ يسير بنوع غلطوات  
وهو يفكر . يقرب من السيارة الرثة ويتأملها ،  
ثم يلتفت اندمجة غير كامنة ] بدأت المسألة  
تتبعن بجلاء شديد . يا زميلي العزيز ...  
إنك ، لقاء آلاف من الفرنكات معدودة  
هي باقية في ذمتي ديناً لك على ، قد تنازلت  
لى عن عيادة زبائننا يشبهون سيارتك هذه  
تمام الشبه [ بربت على السيارة بجند ] إذا  
قدرت قيمة هذه السيارة بتسعة عشر  
فرنكا فإنها لن تكون غالية ، وإذا  
قدرتها بخمسة وعشرين فرنكا فإنها تباع  
بأكثر من ثمنها [ يتأملها بنظرة هواة السيارات ]  
وإذا كنت أحب أن أظل سمحاً في معاملاتي  
فإني أعرض عليك ثلاثين فرنكا  
ثمناً لها .

الدكتور : ثلاثين فرنكا لهذه السيارة ؟ إنني لا أفرط  
فيها. ولو بستة آلاف .

كنوك : [ وقد ظهرت عليه دلائل الأسف ] كنت أتوقع

ذلك ، [ يتأمل السيارة الرثة من جديد ]

إذن لن أستطيع شراء سيارتك ،

الدكتور : سأبيعها ، ولكن على الأقل لو أنك  
عرضت على ثمناً معقولاً . .

كنوك : يا للأسف ! كنت أريد أن أحولها إلى  
صندوق [ يعود ] ، أما فيما يتعلق  
بعيادتك فإنني أتنازل عنها دون ندم  
عليها إن كانت الصفقة لم تتم بعد .

الدكتور : اسمح لي أن أقول لك يا زميلي العزيز  
إنك ضحية أوهام كاذبة .

كنوك : بل الأقرب إلى عقلي أنني ضحيتك أنت ،  
وليس من عادتي التأوه والتنجع ، وإذا  
ضحك على إنسان فلا ألومن إلا نفسي .

مدام بارباليد : ضحك عليك . . دافع عن كرامتك  
يا صديقي . . دافع !

الدكتور : كل ما أوده أن أجنب الدكتور كنوك

الاسترسال في الأوهام :

كتوك : أما أقساط الدين فعيها أنها تدفع كل ثلاثة شهور في بلد كل مريض فيه زيون سنوي ، ينبغي لي أن أجد مخرجاً ، على كل حال لا داعي لانزعاجكم ، فإنني أكره أن أكون مدينا ، وألم الدين أقل على العموم من ألم اللعابجو أو ألم « خراج » في الإلية . .

مدام بارباليد : ماذا ؟ إذن أنت لا تريد أن تدفع لنا الأقساط في مواعدها المتفق عليها ؟

كتوك : إنني متلهف على سداد الدين يا مدام . . . ولكن لا سلطان لي على التقويم ، ولا أستطيع أن أزحزح عيد القديس جوزيف عن مواعده .

مدام بارباليد : القديس ميشيل . .

كتوك : القديس ميشيل . .

الدكتور : أليس عندك مال مدخر ؟

كنوك : ولاصنيم ، فإني أرتزق من عملي أو على الأصح أتلهف على أن أرتزق منه ، وإني أكره هذا الطابع الأسطوري في زبائن العيادة التي أفلحتم في بيعها إلى ، خصوصاً وكنت أريد أن أعاملهم بوسائل حديثة جداً [ تفكير بهد لحظة وكأنما يخاطب نفسه ] في الواقع أن المشكلة واحدة وإن استبدلت وجهة بوجه .

الدكتور : إذن أنت يا زميلي العزيز ترتكب حماقة مزدوجة حين تسارع إلى اليأس قبل الألوان ، وهذا شأن كل مستجد في المهنة لم يتزود بعد بالتجارب ، لا ريب أن مهنة الطب حقل خصيب ، ولكن خيراته لا تنبت عفواً ومن تلقاء ذاتها ، إنها أحلام شبابك التي رسمت لك الصورة بألوان زاهية نوعاً ما .

كنوك : يا زميلي العزيز كلامك هذا محشو بالأخطاء ، فأولاً أنا أبلغ من العمر أربعين

عاما ، فإن كانت لى أحلام فهى ليست  
أحلام الشباب .

الدكتور : ليكن ، ولكنك لم تمارس مهنة  
الطب قط .

كنوك . : وهذا خطأ آخر .

الدكتور : ماذا ؟ ألم تقل لى إنك لم تتخرج من كلية  
الطب إلا فى الصيف الماضى ؟

كنوك : نعم وقدمت رسالة من اثنتين وثلاثين  
صفحة فولسكاب عنوانها : «علامات تمام  
الصحة ، قناع كاذب مخادع» ووضعت  
تحت العنوان كلمة مأثورة أسندتها إلى  
كلود برنار هى «الأصحاء هم مرضى غافلون»

الدكتور : إذن فنحن متفقان يا زميلى العزيز . .

كنوك : على أن رسالتى أصابت كبد الحقيقة .

الدكتور : لا . . على أنك لا تزال فى أول السلم .

كنوك : عفواً إن شهادتى حديثة ولكن لى خبرة  
بمهنة الطب ترجع إلى عشرين سنة مضت .

الدكتور . : ماذا ؟ هل كنت معاون صحة ؟ هذه

الوظيفة قد ألغيت منذ زمن طويل . .

كنوك : كلا بل كنت منتسباً للكلية . . حاملاً

لشهادة البكالوريا . .

مدام بارباليد : لم توجد قط بكالوريا في الطب . .

كنوك : بكالوريا في الآداب يا سيدى . .

الدكتور : كنت تمارس مهنة الطب إذن بدون شهادة

وفي الخفاء ؟

كنوك : كلا بل نهراً جهاراً، لا في بلد في أقاصى

الريف بعيد عن العمران ، بل في منطقة

مساحتها سبعة آلاف كيلو متر تقريباً . .

الدكتور : هذا كلام غير مفهوم .

كنوك : بالعكس هي مسألة في غاية البساطة ، فنذ

عشرين سنة مضت تخليت مضطراً عن

دراسة الآداب واشتغلت بائعاً في قسم

« الكرافات » في متجر كبير بمرسيليا ، ثم

فقدت عملي وأخذت أتمسك في الميناء ،

وقرأت إعلاناً عن سفينة حولتها ١٧٠٠  
طن مسافرة إلى الهند تطلب مشرفاً صحياً  
ولا تشترط أن يكون حاصلها على لقب  
دكتور ، لماذا تفعل لو كنت مكانى ؟

الدكتور : لا أفعل شيئاً بطبيعة الحال . .

كنوك : أفهم هذا منك فأنت لا تعشق مهنة  
الطب ، أما أنا فقد تقدمت ، وإذ كنت  
أمقت المواقف المريرة فقد أعلنتهم منذ  
دخولى قاتلا : « أيها السادة ! كنت  
أستطيع أن أزعم لكم أنني دكتور ، ولكنى  
فى الواقع لست دكتوراً ، بل أصرح لكم  
بما هو أدهى ، إننى لا أعرف فى أى  
موضوع سأكتب رسالتى . فكانت  
إجابتهم أنهم لا يتمسكون بلقب دكتور ،  
وأن موضوع رسالتى لا يهمهم فى شىء ،  
فرددت على الفور : « مع الاعتراف  
بأننى لست دكتوراً ، إلا أننى أود لأسباب  
تتعلق بالكرامة وحسن النظام أن يطلق على

في السفينة لقب دكتور » . فقالوا إن هذه  
مسألة طبيعية ، ومع ذلك لبث مدى  
ربع ساعة أشرح لهم الحجج التي زحزحتني  
عن التمسك بالصدق والأمانة وحلتي على  
المطالبة بلقب لا حق لي فيه ولا يرضاه  
ضمير ، وهكذا أطلت الحديث حتى  
لم يبق أمامهم سوى ثلاث دقائق للبت في  
تحديد مرتبي . .

الدكتور : ولكن أصحیح أنه لم يكن لديك أي إلمام  
بالطب ؟ .

كنوك : افهمني ! إنني كنت منذ طفولتي أقرأ  
يشغف في الصحف كل إعلان عن علاج  
طبي أو دواء ، وإذا اشترى أبواي  
علبة حبوب أو زجاجة دواء سائل ،  
نزعت الورقة الملقوفة عليها وقرأت .  
شرحها لطريقة الاستعمال ، فما بلغت  
التاسعة من عمري حتى كنت أحفظ عن  
ظهر قلب نصوصا طويلة عن عوارض

الإمساك ، وأستطيع الآن أن أتلو عليك  
من الذاكرة نص خطاب بديع أرسلته  
الأرملة م.ع . من مدينة بروج عام  
١٨٩٧ إلى المعلم الأمريكى الذى ينتج  
دواء ضد الإمساك اسمه «الأعشاب السحرية  
الأكيدة المفعول » . أتريد ؟

للدكتور : لا تتعب نفسك إننى أصدقك :

كنوك : كان لهذه النصوص الفضل فى أنها جعلتنى  
منذ سن مبكرة آلف لغة الطب ، ولكن  
فضلها الأكبر أنها كشفت لى من الطب  
عن حقيقة معناه وحقيقة أهدافه ، هذه  
الحقائق التى يخفيها تعليم الطب فى الجامعة  
تحت زخرف من المصطلحات العلمية  
الجوفاء ، وأستطيع أن أقول لك إننى  
حين بلغت الثانية عشرة كنت قد تمك  
لى فطنة صادقة بالطب هى التى تعتمد عليها  
اليوم طريقتى فى العلاج . :

الدكتور : لك طريقتك في العلاج ؟ يشوقني أن أعرفها . . .

كنوك : إنني لا أقوم بدعاية ، إذ النتائج وحدها هي التي تتكلم ، وما أنت ذا اليوم تديعي عيادة هي باعترافك أنت ، صفر في صفر .

الدكتور : عفواً . صفر في صفر . . ؟

كنوك : عد بعد سنة فسترى ماذا سأكون قد فعلت بها ، سيكون أمامك البرهان القاطع ، وإذ تجعلني أنت أبدأ من الصفر فإنك تضاعف عندي متعة التجربة .

جان : سيدي . . سيدي ! [ يتجه إليه الدكتور باربايد ] أظن أنه يحسن أيضاً أن أفك « الكاربورائير » . . .

الدكتور : أوسع أسرع [ يفرد ] لما رأيت حديثنا قد استمر في طال ، طلبت [ إلى السائق أن يباشر الآن بتنظيفه « الكاربورائير » كما يفعل مرة كل

شهر . . .

مدام بارباليد : ولكن كيف سرت وجهك في هذه  
السفينة ؟

كنوك : قضيت الليلتين السابقتين لإبحارى وأنا  
أفكر وأتدبر ، ثم أتاحت لى الخدمة ستة  
أشهر فى السفينة أن أتحقق من صحة فهمى  
لمهنة الطب ووجدت أن ما أفعله مطابق  
لما يحدث فى المستشفيات .

مدام بارباليد : أكان عليك أن تعنى بأناس كثيرين ؟  
كنوك : طاقم السفينة وسبعة من الركاب كلهم  
رقيتو الحال ، فى مجموعهم خمسة  
وثلاثون نفرأ .

مدام بارباليد : عدد لا يستهان به .  
الدكتور : وهل حدثت وفيات ؟  
كنوك : ولا مرة واحدة ، فالوفاة ضد مبادئى ،  
فأنا من أنصار تقليل الوفيات .

الدكتور : هذا شأننا جميعاً . .  
كنوك : أنت أيضاً ؟ ما كنت أظن ذلك ، اعتقادى

أن واجبتنا في كلمتين أن نعمل على استبقاء  
المرضى والأبصارنا عن ذلك أى إغراء.

مدام بارباليد : فى قول الدكتور نصيب من الحق .

الدكتور : والمرضى ؟ هل كان هناك مرضى  
كثيرون ؟

كنوك : خمسة وثلاثون .

الدكتور : يعنى كل فرد فى السفينة ؟

كنوك : نعم كلهم جميعاً .

مدام بارباليد : وكيف كانت تسيّر السفينة إذن ؟

كنوك : كان العمل بالتناوب .

[ لحظة صمت ]

الدكتور : اصدقنى الآن . . أحقاً أنت دكتور ؟

فإنهم لا يسمحون هنا بمزاولة الطب إلا  
لمن نال الشهادة وستجر علينا المتاعب ،  
فإذا لم تكن حقاً دكتوراً فن الخبير أن  
تصارحنا بذلك فوراً . .

كنوك : أنا حقاً دكتور فعلاً وقانوناً ، إذ أننى حين

رأيت أن تجربتي قد أيدت طريقتي في  
الطب لم يصبح لي من تلهف إلا على أن  
أرسي هذه الطريقة على دعائم ثابتة وفي  
نطاق واسع ، ولم أجهل أن الحصول على  
الشهادة إجراء شكلي لا مفر منه .

مدام بارباليد : ولكنك قلت لنا إنك حديث عهد بدراسة  
الطب . .

كنوك : لم أستطع أن أنتظم في دراسة الطب في  
ذلك العهد الذي تحدثت عنه ، فقد  
اضطرت من أجل كسب العيش أن  
أشتغل بعض الوقت بتجارة الفول . .

مدام بارباليد : ما هذا ؟

كنوك : الفول السوداني . . [ تبدو من مدام بارباليد  
حركة ] كلا ياسيدتي . . اطمئني . .  
لم أكن بائعاً يجول بسلة في يده ، لقد  
أسست مكتباً رئيسياً ، يقصده باعة الفول  
السوداني لشراء حاجتهم ، ولو بقيت

فيه عشر سنوات لكنت , أصبحت مليونيراً ، ولكنى لم أجد فى هذا العمل أقل متعة ، وكل مهنة فى الأعم إن طال بها العهد تبعث على الملل ، وقد تبينت هذا بنفسى ، أما المهنة الوحيدة التى لا تبعث الملل حقاً فهى الطب أو ربما السياسة أو البورصة ، ولم أجرب هذه المهنة بعد . .

مدام بارباليد : وفى نيتك أن تطبق طريقتك هنا ؟  
كنوك : إذا لم تكن هذه نيتى لأطلقت ساقى للريح وهربت وهيات لك أن تلحقى بى ، كنت أفضل بطبيعة الحال أن أطبق طريقتى فى مدينة كبيرة . .

مدام بارباليد : [ازوجها] ها أنت ذا راحل إلى مدينة ليون فلماذا لا تلتمس بعض الإرشادات من الدكتور . فإنك لن تغرم شيئاً . .  
الدكتور : ولكن يبدو أن الدكتور كنوك لا يريد . . .  
أن يفضى بطريقته . . .

كنوك : [ إل الدكتور بارباليد بعد برهة من التفكير ]  
أحب أن أخدمك ، وها أنذا أقدم إليك  
الاقتراح التالى : بدلا من أن أدفع لك  
دينى نقداً فى يوم علمه عند الله ، فأنى  
أدفعه لك عيناً بأن أبتيك معى ثمانية أيام  
أدربك فيها على طريقتى . .

الدكتور : [ بينما ] أنت تمزج يا صديق العزيز ،  
لعلك أنت الذى ستكتب لى بعد ثمانية  
أيام تسألنى المشورة والنصح

كنوك : لا داعى لهذا التأجيل فى حسابى أن  
أقتبس منك اليوم بعض إرشادات تكون  
لى نافعة جداً .

الدكتور : أنا تحت أمرك يا زميلى العزيز .

كنوك : هل فى مدينتكم قارع طبل ؟

الدكتور : تعنى « المنادى العمومى » الذى يذق الطبل  
ويبلغ الناس ما عنده ؟

كنوك : هو بعينه . .

الدكتور : نعم لدينا هذا المنادى العمومى تكلفه

البلدية بأن يذبح تعليماتها ولا يلجأ إليه من  
الأفراد إلا رجل ضاع منه كيس نقوده ،  
أو صاحب متجرز يعنى بضاعته القديمة  
من فخار أو صيني .

كنوك : فهت ا وكم يبلغ عدد سكان سان  
موريس ؟

الدكتور : ثلاثة آلاف وخمسةائة على ما أظن ،  
أما إذا ضمت إلى البلدة ضواحيها  
فالعدد ستة آلاف تقريباً . .

كنوك : وعدد سكان المركز كله ؟

الدكتور : ضعف هذا العدد على الأقل . .

كنوك : وهل السكان فقراء ؟

مدام بارياييد : لا بالعكس هم من ميسورى الحال  
بل من الأغنياء ؛ فهناك ضياع واسعة ،  
وكثير من الناس يعيشون على موارد  
أملآكهم .

الدكتور : وكلهم على درجة فظيمة من الشح  
والتقتير . .

كنوك : وهناك مصانع ؟

الدكتور : عدد قليل جداً . .

كنوك . : والحركة التجارية ؟

مدام بارباليد : ليست الدكاكين هي التي تنقصنا . .

كنوك : وأصحابها . . هل تجارتهم هي شغلهم

الشاغل ؟

الدكتور : كلا فإن أغلبهم يشتغل بالتجارة لزيادة

دخلهم أو على الأخص لخلق وسيلة

يشغلون بها أوقات فراغهم .

مدام بارباليد : والعادة أن الزوجة تحزم الدكان على

حين يخرج الزوج يتسكع باحثاً عن

تسلية . . .

الدكتور : أو العكس .

مدام بارباليد : أعترف بأن الزوج في الغالب هو الذي يهجر

الدكان ، ذلك أولاً لأن النساء لا يعرفن

أين يذهبن ، على حين أن الرجال أمامهم

أن يذهبوا إلى الصيد بالبندقية أو صيد

السّمك ، وفي الشّتاء يذهبون إلى  
المشهى .

كنوك : وهل النّساء متمسكات بالتقوى ؟  
الدكتور : [ باربايد يأخذ في الضحك ] هذا سؤال له  
أهميته عندى .

مدام باربايد : كثيرات منهن يذهبن للصلاة في الكنيسة  
كنوك : وهل للدين دور كبير في مشاغلهن  
اليومية ؟

مدام باربايد : ياله من سؤال عجيب !  
كنوك : بديع جداً [ يفكر ] أليس هناك ردائل  
جسيمة ؟

الدكتور : ماذا تعنى ؟  
كنوك : أفيون . . . كوكايين . . . ندوات سمر  
وعريدة ، شنوذ جنسى . . . تعصب  
سياسى . . .

الدكتور : إنك تخلط بين أشياء متباينة ، إننى  
لم أسمع قط عن أفيون ولا ندوات سمر

وعريضة ، أما السياسة فهي تشغل أهل  
البلد كغيرهم من الناس .

كنوك : ولكن هل فيهم من يهري جلد أبويه  
لتغليب رأيه في قانون الانتخاب مثلا  
أو قانون ضريبة الإيراد ؟

الدكتور : لم يصاوا إلى هذا الحد والحمد لله .

كنوك : والحياة الزوجية ؟

الدكتور : أفدم ؟

كنوك : هل تنفشى عندكم فوق الحد ؟ وهل  
يشغل أمرها الناس شغلا شديدا ؟

الدكتور : أسألتك عجيبة ، فبلدنا مثل أى بلد  
آخر فيه رجال تخونهم زوجاتهم ،  
ولكن عددهم معقول .

مدام بارباليد : أولا إن الحياة الزوجية غير ميسورة  
إذ أن الناس يتفانون في مراقبة بعضهم .

كنوك : أليس لديكما معلومات أخرى عن المداهب

الدينية ؟ عن الخرافات ؟ عن الجمعيات  
السرية ؟

مدام بارباليد : بعض نساء بلدتنا الفارغات اشتغلن في  
وقت من الأوقات بتحضير الأرواح .

كنوك : آه . . آه . .

مدام بارباليد : يجتمعن عند زوجة الموثق وتكلم الروح  
بمحرمة من المنضدة .

كنوك : مصيبة . . هذا شيء كريبه .

مدام بارباليد : ولكنهن فيما أظن قد أقلعن عن عاداتهن .

كنوك : آه أحسن . . وهل يوجد كذلك مشتغلون

بالسحر أو بالعلاج الروحاني ؟ مثلاً فلاح

نفوح منه رائحة الأغنام يزعم أنه يشفي

الناس بالرق والتعاويذ ؟

[ جان يشاهد بين المين والآخر وهو يدبر

المانيفلأ حتى تنهر أنفاسه ثم يجففت عرقه ]

الدكتور : ربما كان هذا موجوداً فيما مضى

أما اليوم فلا . .

كنوك : [ تتجلى عليه مظاهر التحفز . . يحك كفا بكف  
وهو يتمشى ] خلاصة القول إنه قد آن  
للعصر الطيبي أن يشرق [ يقترب من السيارة ]  
يا زميل العزيز أمن القسوة على هذه  
السيارة أن تسألها بذل مجهود جديد ؟  
إنني متلهف على بدء إقامتي في سان  
موريس .

مدام بارباليد : يا لها من لطفة مفاجئة !

كنوك : من فضلكم ! فلنصل إلى بلادكم المتربعة  
فوق قمة الطريق .

الدكتور : أى عامل قوى أصبح يجذبك إليها  
إذن ؟

[ كدوك يتدشى جيئة وذهاباً و صمت ]

كنوك : يا زميل العزيز . . يخيل إلى أنك قد  
فوت عليك في تلك البلدة فرصة بديعة ،  
وإن اقتبست أسلوبك أقول : إنك حصدت

الشوك بعرق الجبين بدلا من الثمار الطيبة ،  
كان ينبغي لك أن ترحل وأنت غارق  
في الذهب ومتريع على أكدياس من  
الأوراق المالية ، وأنت يا سيدتي تتحلين  
بعقد من اللؤلؤ من ثلاثة فروع ، وكلاكما  
في سيارة فخمة [ بشير إلى السيارة الرثة ]  
لا في هذا الأثر التاريخي لأول جبوللنبوغ  
العصرى .

مدام بارباليد : أتمرح يا دكتور ؟

كنوك : لو كان مزاحا لكان قاسياً يا سيدتي .

مدام بارباليد : إذن فهذا كلام فظيع . . هل سمعت  
يا ألبرت قوله ؟

الدكتور : أدركت أن الدكتور كنوك رجل يجرى  
وراء السراب وأنه فوق ذلك هوأنى  
لا يقر له قرار . . تتلاعب به الأحاسيس  
سببينة في غاية الغلو ، فهو يرى تارة أن

العبادة لاتساوى ولاصولدى ، وتارة  
أنها من الذهب [ يرفع كتفيه إل أعلى ] .

مدام بارباليد : وأنت أيضاً ، إنك ستبدا برأيك ،  
ألم أقل لك أكثر من مرة إنك  
لو عرفت كيف تعالج الأمور لكنت  
لنا فى سان موريس حياة أفضل من  
انتى عشناها .

الدكتور : طيب .. طيب .. إننى سأعود بعد  
ثلاثة أشهر عند حلول القسط الأول من  
الدين : وسرى ماذا يكون حال الدكتور  
كنوك ..

كنوك : وهو كذلك .. ارجعوا بعد ثلاثة أشهر ،  
وسنجد حينئذ فحة من الوقت تتبادل  
فيها الحديث ، أما الآن فىنى أناشداكم أن  
نرحل فوراً .

الدكتور : [ إل جان بتيب ] هل أنت مستعد ؟

جان : [ بصوت خافت ] أما عن نفسي فأنا  
مستعد ولكني لا أظن أننا سنفلح  
هذه المرة بمجهودنا وحده أن  
نحرك السيارة .

الدكتور : [ بنفس الهمجة ] وكيف ؟

جان : [ يهز رأسه ] يلزمنا رجال أشد قوة منا .

الدكتور : وما قولك لو حاولنا دفعها ؟

جان : [ وهو غير واثق ] ربما

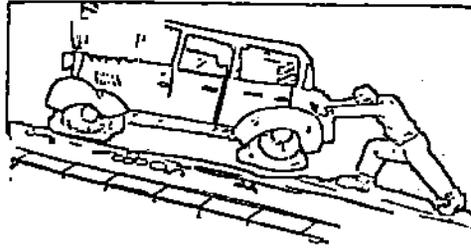
الدكتور : أنا واثق أننا نستطيع ، فأمامنا عشرون  
متراً في طريق منبسط ، وسأتولى عجلة  
القيادة ، وتقوم أنت بدفع السيارة .

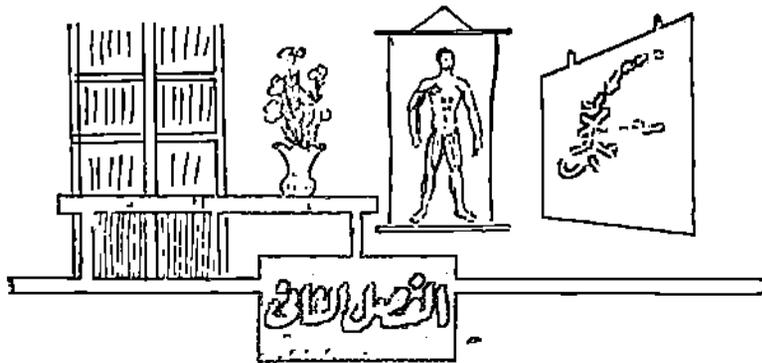
جان : فليكن .

الدكتور : ثم تعمس يدك إلى التفتيح إلى سلم السيارة في  
اللحظة المناسبة . . فهمت ؟ . . [ يمسك  
الدكتور للآخرين ] إذن هيا اركب يا زميلي  
العزيز ، سأتولى أنا قيادة السيارة إذ أن  
جان - لأنه عملاق - يريد من قبيل

الاهو والتسلية أن تطلع بنا السيارة بغير  
عون من «المانيفلا»، طلعة يمكن أن نسميها  
«أوتوماتيكية» مع أن قوة العضلات  
تقوم بعمل الشرارة الكهربائية وكلا  
القوتين في الحلق من نوع واحد تقريباً..

[ جان يميل على مؤخرة السيارة يدفعها ]





[ في المسكن الذي كان يقيم فيه الدكتور بارباليد من قبل ، وقد  
 أئنه الدكتور كنوك بترتيب مؤقت : منضدة . . مقاعد . . دولاب  
 كتب . . شيز لوفج . . سبورة . . حوصس للنسيل . . وعلى  
 الجدران رسومات علم التشريح . . ] .

## المشهد الأول

كنوك - النادي العمومي

كنوك : [ وهو جالس يجيل نظره في الحجرة ثم يكتب ]  
 أنت النادي العمومي ؟

المنادى : [ وهو راقف ] نعم يا سيدي . . .  
 كنوك : نادى بلقب دكتور . . . وتكون إجابتك :  
 نعم يا دكتور أو لا يا دكتور . . .  
 المنادى : حاضر يا دكتور . . .

كنوك : وحين تتاح لك فرصة التحدث عني مع  
 الناس فلا يفوتك أبداً أن تكون عبارتك  
 هكذا : الدكتور قال . . . الدكتور  
 فعل . . . هذه مسألة تهمني ، وبأى عبارة  
 كنتم تتحدثون عن الدكتور بارباليد إذا  
 جاءت سيرته ؟

٥٦٦

المنادى : كنا نقول : رجل طيب ، ولكنه ليس  
 حجة في الطب . . .  
 كنوك : ليس هذا ما سألتك عنه ، هل كنتم  
 تقولون : الدكتور ؟

المنادى : كلا . . . كنا نقول مسيو بارباليد  
 أو « أبو كشورة » !  
 كنوك : وما معنى « أبو كشورة » ؟

المنادى : هذا وصف اشتهر به بين الناس ولكن  
لم أفهم قط سببه . .

كنوك : وهل كان رأيكم فيه أنه ليس على  
درجة كبيرة من البراعة في مهنته ؟

المنادى : أما عن نفسى فاعتقداى أنه كان على  
درجة لا بأس بها من البراعة ، وبقية  
الناس لا يعترفون . . بذلك .

كنوك : عجيبة !

المنادى : وكان إذا قصده إنسان لم يجد . .

كنوك : لم يجد ماذا ؟

المنادى : يجد علته ، فتى تسعين فى المائة من  
الحالات يصرف المريض بقوله : « عارض  
تافه » وستكون يا صديقى من غد فى  
أتم صحة وعافية . . .

كنوك : حقاً ؟

المنادى : أو لا يلتقى باله إلى حديث زائره مردداً  
« طيب . . طيب . . » أو « نعم .  
نعم . » ثم ينطاق فى التحدث ساعة

كاملة عن مسألة أخرى ، كأن يتحدث  
مثلا عن سيارته . .

كنوك : كأنما يقصده المريض لسمع هذا  
الحديث ؟ .

المنادى : ثم يصف دواء زهيد الثمن يكون أحيانا  
شرب سائل معرق ، وأنت مدرك أن الذي  
يدفع ثمانية فرنكات أجر استشارة الطبيب  
لا يرون له أن يصف له دواء زهيد  
الثمن ؟ إن أشد الناس غباء ليس في  
حاجة لاستشارة طبيب من أجل أن  
يصف له احتساء فنجان من البابونيك . .

كنوك : يحزني ما أسمعك منك ولكن استدعيتك  
لأستفسر منك عن شيء . هو الأجر  
الذي كنت تتقاضاه من الدكتور بارباليد  
حين يكلفك بإذاعة إعلان له ؟

المنادى : [ بمرارة ] إنه لم يكلفني قط بإذاعة  
إعلان له . . !

كنوك : ماذا تقول ؟ حتى ولا مرة واحدة في  
بجر ثلاثين عاماً ؟

المنادى : ولا إعلان واحد في ثلاثين سنة  
أقسم لك . .

كنوك : لا بد أنك نسيت ؛ لا أستطيع أن  
أصدقك . وباختصار ما هي تعريف  
الأجور؟ [ بهض من مقده مسكاً ورقة في يده ]

المنادى : ثلاثة فرنكات للجولة القصيرة . . وخمسة  
فرنكات للجولة الكبيرة ، وقد تحسب  
أن الأجر مرتفع ، ولكنه عمل يتطلب  
جهداً كبيراً . وعلى كل حال فإني  
أنصح سيلدى . . .

كنوك : الدكتور . .

المنادى : إني أنصح الدكتور إذا هان عليه دفع  
زيادة في الأجر في حدود فرنكَيْن اثْنَيْن  
أن يختار الجولة الكبيرة فهي أكثر بركة  
من الأخرى . .

- كنوك : ما هو الفرق بينهما ؟
- المنادى : في الجولة الصغيرة أنادى خمس مرات أمام البلدية وأمام مكتب البريد وأمام فندق المفتاح وفي الميدان الكبير ، وعند مدخل السوق ، أما في الجولة الكبيرة فإني أقف وأنادى إحدى عشرة مرة سأعدها لك . .
- كنوك : فهمت ! سأختار الجولة الكبيرة ، فهل أنت خال من الشغل هذا الصباح ؟
- المنادى : على الفور إن شئت . .
- كنوك : إليك إذن نص الإعلان [ يتاوله الورقة ]
- المنادى : [ يتأمل النص ] إنني أفك الخط . ولكني أفضل أن تقرأه لي . . لأول مرة .
- كنوك : [ يقرأ النص بجهل ، والمنادى ينصت متحمساً إيقاع التلاوة طبقاً لأصول مهنته ] : « الدكتور كنوك خليفة الدكتور بارباليندا يهادي تحياته إلى أهالي مدينة ومركز سان موريس ويتشرف بإحاطتهم علماً أنه

استجابة لرغبته في فعل الخير والتفشاء  
على هذه الزيادة الموجبة للقلق في تفشى  
مختلف الأمراض في منطقة كانت معروفة  
بطيب مناخها . . .

المنادى : هذه حقيقة صارخة . . .

كونك : . . . فإنه يعلن أنه يتبرع بالكشف مجاناً  
على المرضى من أهل المركز كل يوم  
الثين من الساعة التاسعة والنصف إلى  
الساعة الحادية عشرة والنصف . . أما  
إذا كان المريض ليس من أهل المركز  
فإن أجر الاستشارة سيظل كالمألوف :  
ثمانية فرنكات . . . »

المنادى : [ يتناول الورقة باحترام ] حقاً إنها فكرة  
جميلة . . فكرة ستكون موضع تقدير ،  
فكرة فاعل خير [ يبتسم من لهجته ] ولكنك  
تعلم أن اليوم هو يوم الاثنين ، فإذا  
-أذعت هذا الإعلان هذا الصباح فلن

تمضى خمس دقائق حتى يتقاطر الناس  
إليك . .

كتوك : بهذه السرعة ؟ أتظن ذلك ؟

المنادى : لعلك لم تنتبه إلى أن يوم الاثنين هو يوم  
السوق ونصف أهل المركز مجتمعون به  
وسيلغ الإعلان هذا الحشد الضخم ولن  
تعرف من شدة الزحام عليك رأسك  
من رجلك . .

كتوك : سأبذل جهدى وأحسن التصرف . . .

المنادى : بقيت مسألة أخرى . . إن يوم السوق  
هو اليوم الذى يتيح لك أكبر فرصة  
للظفر بزبائن ، وكان الدكتور بارباليد  
لا يجد زبوناً إلا فى هذا اليوم [ ثم يقول  
له بالفة ] فإذا كشفت عليهم مجاناً . .

كتوك : لا يغيب عليك يا صديق أن الذى أريده  
قبل كل شيء هو أن يألف الناس  
معالجة أبتائهم ، وإلا لو كان المال

مطعمي لكنت فتحت عيادتي في باريس  
أو نيويورك . .

المنادى : آه . . لقد وضعت أصبعك على العلة ،  
فإن الناس هنا لا يهتمون بالعلاج اهتماماً  
كافياً . .

كنوك : ألاحظ يا صديقي أن لك منطلقاً حكيمياً .  
المنادى : [ وقد ملأه الزهو ] أوه . . بالطبع إن لي  
منطلقاً حكيمياً . مع أنني لم أنل من التعليم  
ما كنت أستحقه ، ولكن هناك كثيراً  
من المتعلمين ينهزمون عند الجدل أمامي ،  
وحضرة العمدة - وإن كنت لا أريد  
ذكره - عنده عن ذلك الخبر اليقين ،  
دعني أقص عليك كيف حدث ذات  
يوم يا سيدي . .

كنوك : يا دكتور .  
المنادى : [ بنشوة ] يا دكتور . . كيف حدث  
ذات يوم أن كان مأمور المركز بنفسه  
موجوداً في البهو الكبير المخصص لعقد

الزواج في دار العمدة ، ويمكنك أن  
تستوثق من صحة الوقائع ممن حضر من  
كبار القوم مثل حضرة نائب الأمور  
وإن كنت لا أريد ذكره أو مسيو  
ميكالون . . فإذا بي . . .

كنوك : فإذا بحضرة الأمور قد أدرك من فوره  
أنه بإزاء رجل فذ ، وأن منادى البلد  
هو مناد يحسن إقامة الحججة بما لا يحسنه  
أناس إن كانوا لم يمتحنوا مهنته إلا أنهم  
يشمخون بأنوفهم ادعاء بأن مقامهم  
يعلو فوق مقامه بكثير ، ثم إن الذى  
انعقد لسانه وارتابك لم يكن إلا حضرة  
العمدة نفسه . .

المنادى : [ فى سعادة كبيرة ] هذه هى الحقيقة  
بعينها ، فلا حاجة إلى تغيير كلمة واحدة  
فيها ، ويكاد المرء يقسم إنك كنت موجوداً  
حينئذ بيننا ، محتبباً فى ركن صغير . .  
كنوك : إننى لم أكن موجوداً هناك يا صديقتى . .

المنادى : إذن لا بد أن يكون قد روى لك القصة  
إنسان ذو مقام [ تصدر من كنوك حركة نم  
عن تحفظ دبلوماسى ] ولن تستطيع أن تنزع  
من رأسى أنك تحدثت فى هذا الموضوع  
مع حضرة الأمور . .

كنوك : [ يتنعق بالابتسام ثم ينفض ] إذن فإني معتمد  
عليك يا صديقى اعتماداً كبيراً . . أليس  
كذلك ؟

المنادى : [ بعد تردد متوال ] إننى لن أستطيع أن  
أملك الحجبىء للعبادة مبكراً ، وإذا ملكته  
فسيكون بعد فوات المواعيد ، فهل لك  
أن تسدى إلى جميلا يدل على طيبة قلبك  
وتكشف على فوراً . . ؟

كنوك : هيه . . بشرط أن تسرع فلدى موعد  
مع مسيو برنار المدرس ، ومسيو موسكيه  
الصيدلى ، وينبغى أن أقابلهما قبل مجئ  
الزبائن ، مم تشكو ؟

المنادى : انتظر حتى أفكر [ يضحك ] ، . . بعد

أن أتناول عشائى أحسن أحياناً بشيء  
يشبه الأكلان هنا [ يضع يده على أسفل بطنه ]  
شيء يشبه الدغدغة أو الخريشة . .

كنوك : [ وقد استرقق في تفكير عميق ] احترس ،  
حذار من الخلط ، ينبغي أن تقول لى هل  
هى دغدغة أم خريشة !

المنادى : إنها خريشة [ يفكر ] ولكنها مصحوبة  
بدغدغة بسيطة أيضاً . ؟

كنوك : أرنى الموضع بالضبط .

المنادى : هنا . .

كنوك : أين هنا هذه ؟

المنادى : هنا . . أو قد يكون هنا . ؟ أو قد يكون  
بين الموضوعين . ؟

كنوك : فى الوسط بين الاثنين تماماً ؟ أم يكون  
أبعد قليلاً إلى اليسار ؟ هنا حيث أضع  
أصبعى ؟

المنادى : يجوز

كنوك : هل تشعر بألم حين أغرز أصبعى ؟

- المنادى : نعم . . . يخيل إلى أنني أشعر بآلم : :  
 كنوك : آ . . . آه [ يفكر وقد انعمت جبينه دلالة  
 على التوجس ] أفلا تشعر بهذا الأكلان  
 يزداد عن المؤلف إذا أكلت رأس  
 عجل مطبوخ بالخل ؟
- المنادى : إنني لا آكل لحم الرأس أبداً ، ومع ذلك  
 يخيل إلى أنني لو أكلته لزداد الأكلان  
 عن المؤلف .
- كنوك : آه . . . آه هذا شيء منهم جداً . . .  
 آه . . . آه . . . كم عمرك ؟
- المنادى : ما بين واحد وخمسين واثنين وخمسين .  
 كنوك : ولكن لأيهما عمرك أقرب ؟ لواحد  
 وخمسين أم لاثنتين وخمسين ؟
- المنادى : [ يرتبك قليلا ] أقرب إلى الثانية والخمسين  
 إذ سأتم السنة في نوفمبر القادم . . .
- كنوك : [ يضع يده على كفته ] يا صديقي . . . باشر  
 عملك اليوم كعادتك وفي المساء ارقد في  
 فراشك مبكراً وابق فيه غداً لا تبرحه ،

وسأمر عليك لأفحصك ولن أتقاضى  
أجراً منك أنت ، ولكن لا تنقل ،  
هذا الخبر لإنسان ، إنه إكرام مني  
لك . .

المنادى : إنك طيب جداً يا دكتور ، ولكن هل  
علتي خطيرة ؟

كنوك : لأنها لم تصبح بعد خطيرة جداً ، ولكن قد  
آن أوان علاجها . . هل تدخن ؟

المنادى : [ يخرج سديله ] كلا . . بل أمضغ التبغ .

كنوك : ممنوع مضغ التبغ منعاً باتاً . : هل تعب  
النيذ ؟

المنادى : لاني أشربه باعتدال . .

كنوك : ممنوع شرب النيذ ولو قطرة واحدة . .  
هل أنت متزوج ؟

المنادى : نعم يا دكتور [ المنادى يمسح عرقه ] .

كنوك : ينبغي التزام منتهى العقل في هذه الناحية :  
فهمت ؟

المنادى : هل أستطيع أن آكل ؟

كنوك : اليوم مادمت تؤدي عملك ، فلك أن

تشرب شيئاً من الحساء ، وغداً سنتدبر  
وضع قائمة صارمة بالمنوعات ، وإلى  
ذلك الحين عليك أن تتبع ما قلته لك . .

المنادى : [ يمسح عرقه مرة أخرى ] . ألا يكون من  
الخير في رأيك أن ألزم الفراش من  
فوري ؟ . . إنني حقاً لا أشعر بأن  
حالتي طبيعية . .

كنوك : [ يفتح الباب ] حذار من هذا ، ففي  
حالتك هذه لا يحسن الرقاد في الفراش  
ما بين طلوع الشمس وغروبها ، فباشر  
عملك كأن لم يطرأ عليك شيء ، انتظر  
بهدوء حتى يجيء المساء . .  
[ المنادى يخرج والدكتور كنوك يشيمه ] .

## المشهد الثاني

كنوك - المدرس برنار

كنوك : صباح الخير يا مسيو برنار ، عسى ألا

أكون قد أزعجتك كثيراً باذعوتك  
للمجىء إلى هذه الساعة . .

برنار : كلاً . . كلاً . . فقد ملكت دقائق قليلة  
من وقتي إذ أن مساعدى يتولى مراقبة  
التلاميذ فى الفسحة . .

كنوك : كنت أتوقى إلى تبادل الحديث بيننا ،  
فلدينا مهام كثيرة ينبغى أن نتشارك فى  
حملها . مهام عاجلة ، ولست أنا الذى  
يفحى بهذه المعاونة الجليلة التى كنت  
تسديها إلى سائقى .

برنار : أية معاونة ؟

كنوك : أحب أن أقول لك إننى لست بالرجل  
الذى يفرض آراءه على الغير أو يهدم  
من الأساس كل ما بناه الآخرون من  
قبل ، فستكون أنت فى البدء مرشدى  
ودلى . .

برنار : لا أتبين مغزى كلامك . .

كنوك : لترك الآن كل شىء على ما هو عليه ،

ثم تناوله بالتحسين فيها بعد إن لزم  
الأمر [ كنوك يجلس ] .

برنار : ولكن . . .

كنوك : في مجال الإرشاد الصحي أو المحاضرات.  
الشعبية أو الندوات الصغيرة التي نعقدنا  
معاً ، ستكون طريقتك هي طريقتي  
ومواعيدك مواعيدي . :

برنار : المسألة يا دكتور أنني أخشى ألا أكون  
قد أدركت الهدف الذي ترمى إليه بهذه  
التلميحات كلها . .

كنوك : أود أن أقول بكل بساطة إنني راغب .  
في إبقاء الصلة بيننا كاملة لا تمس حتى  
خلال الفترة التي أنشغل فيها بترتيب  
عيادتي . .

برنار : لا بد أن في كلامك معنى أنا عاجز  
عن فهمه . .

كنوك : عجباً . . ألم تكن على صلة دائمة.  
بالدكتور بارباليد ؟

برنار : كنت أقابله بين الحين والآخر في مقصف.  
فندق المفتاح أو كان يحدث أن تلعب.  
البليارد معاً . .

كنوك : هذا النوع من الصلات ليس هو موضوع  
كلامي . .

برنار : لم تكن بيننا صلات سواها . .

كنوك : عجباً . . عجباً . . كيف إذن كنتما  
تتقاسمان عبء الإرشاد الصحي بين  
الأهالي ونشر الدعاية الصحية بين الأسر؟  
ولغير ذلك من الأمور؟ إنني أعني جماع  
المهام التي لا يستطيع المدرس والطبيب  
التنوض بها إلا بعمل مشترك بينهما :  
برنار : لم نتشارك أبداً في شيء . .

كنوك : ماذا؟ هل فضل كل منكما أن يعمل  
مستقلاً؟

برنار : المسألة أبسط من ذلك ، فهذه أشياء لم  
نفكر فيها قط لا أنا ولا هو ، وهذه هي.

أول مرة أسمع فيها مثل هذا الكلام في  
سان موريس .

[ تبدو على كنوك كد علامات الدهشة المزوجة  
بالأسف ] .

كنوك : آه . . هذه أنباء أوكد لك أنني لو لم  
أسمعها من فك أنت لما صدقتها أبداً . .  
[ فترة سمت ] .

برنار : يؤسفني ما سببته لك من خيبة الأمل . :  
ومن الإنصاف أن تسلم بأنه لم يكن في  
وسعى أنا اقتراح وضع خطة مطابقة  
لرأبك حتى لو جالت فكرتها في رأسي  
وحتى ولو لم يلتهم عملي في المدرسة  
كل وقتي . .

كنوك : بالطبع ! كنت نتظر دعوة فلم تجئك  
برنار : ما قصدني إنسان لخدمة إلا بذلت جهدي  
في أداها .

كنوك : أعلم هذا يا ميسيو برنار . . أعلم هذا [ فترة

سنت [ ما أبأس أبناء هذا البلد نفضت  
منهم الأكف . فلا يبصرهم أحد بوسائل  
العلاج والوقاية .

برنار : هذا هو الواقع .

كنوك : أراهن أنهم يشربون الماء دون أن يشغل  
بالهم أن في كل جرعة لهم بلايين البلايين  
من البكتريا . . .

برنار : آه . . هذا محقق .

كنوك : ألدبهم على الأقل علم بالميكروبات ؟

برنار : أشك في ذلك كثيراً . . إن بعض الناس  
هنا يعلمون هذه الكلمة ولكنهم يتصورون  
أنها اسم لبعض أنواع من الذباب . .

كنوك : [ وهو ينفض ] هذا فظيع . . صدقتي

يا عزيزي مسيو برنار إننا لن نستطيع  
في ثمانية أيام أن نصلح أنا وأنت آثار  
سنين عديدة من . . . من عدم المبالاة  
ولكن ينبغي لنا مع ذلك أن نعمل شيئاً . . .

برنار : لا مانع عندي ، إنما أخشى ألا أنفعلك  
كثيراً .

كنوك : يا مسيو برنار . . سبق لشخص بك جد  
خبير أن كشف لي عن عيب جسمي في  
طبعك وهو التواضع فما يخجل إنسان غيرك  
أنك هنا صاحب رأى مطاع بفضل سمو  
مكانتك الأدبية ونبوذك الشخصي ،  
وأرجو أن تغفر لي مجابتهك بهذه الحقيقة ،  
فما يتاح لعمل جدي نافع أن يتم هنا  
إلا بفضلك .

برنار : أنت تبالغ يا دكتور .

كنوك : إذن انفقنا ، أستطيع وحدي أن أعالج  
المرضى ، ولكن المرض ذاته من الذي  
يعينني على محاربهه ومطاردته ، منذ الذي  
يبصر إخواننا المساكين هنا بالخطر الذي  
يهدد أبدانهم في كل لحظة ، ومنذ الذي  
يعلمهم ، أنه لا ينبغي تأجيل طلب الطبيب  
إلى حين طلوع الروح ؟

برنار : لا أخالف رأيك فيهم ، إنهم في غاية الإهمال ..

كنوك : [ بحماس يتزايد شيئاً فشيئاً ] لنبدأ من البداية ، لدى هنا نص محاضرات عديدة مكتوبة بلغة بسيطة ، وملحق بها بيانات مستوفاة وصور على زجاج وفانوس سحري ، فتولى أنت بمجربتك تنظيم الانتفاع بهذا كله . وكخطوة أولى إليك بنص كامل لمحاضرة لذيدة عن التيفويد تتحدث عن تسمرها تحت علامات خادعة لا ينتبه لها المريض وعن مصادرها التي تفوق الحصر كالماء والحبز واللبن والمحار والسلطة والخضراوات والتراب وتنفس المريض .. الخ ... الخ ... وكيف أنها تكن الأسباب والشهور دون أن تفضحها علامة وكيف أنها تحدث فجأة عللا ممتدة وتجد وراءها مضاعفات خطيرة ، وهذا النص مصحوب بمناظر جميلة ، صورة للباشلاص

في حجم ضخم جداً وصورة مماثلة من  
براز المريض ، ولغدد ملتبية ، ومضارين  
مثقوبة ، ليست صوراً بالأبيض والأسود ،  
بل هي صور ملونة كما تروم بالوردى  
والكستائى والأصفر والأبيض المخضر ..  
[ كنوك بنمد ]

برنار : [ وقد بدت عليه علامات الابتئاس ] المسألة أننى  
رجل سريع التأثر وإذا أغرقت نفسى في  
هذه اللجة فلن أذوق النوم ..

كنوك : هذا هو الواجب بعينه ، أريد أن أقول  
إن صدمة الصحوة المباغتة هي التي ينبغي  
لنا أن نتزلزل بها أحشاء السامعين ، أما  
أنت يامسيو برنار فستعود عليها ، فدعهم  
هم يارقون لها [ يميل عليه ] فخطيتهم أنهم  
يتامون في أمان خادع لا يوقظهم منه إلا  
بعد فوات الوقت مرض ينزل عليهم  
كالصاعقة .

برنار : [ تتشى في جسده رعدة ، يده عل المكتب ونظرته

سهرية [ إننى لا أتمتع بصحة متينة ، وقد لقي  
أبوأى عتاً شديداً فى السهر على ، واعلم  
أن الميكروبات التى تقدمها لنا على  
الألواح الزجاجية ما هى إلا صورة ،  
ولكن ألا ترى ...

كنوك : [ كأنه لم يسمع شيئاً ] أما هؤلاء الذين  
يسمعون المحاضرة الأولى فلا يتحولون  
عن برودهم فقد أعددت لهم محاضرة ثانية  
بعنوان يسلو بريثاً هو : « حاملو  
الميكروبات » فيها براهين واضحة وضوح  
النهار مدعمة بأمثلة عن حالات كانت  
موضع درس ومراقبة تثبت أن الشخص  
قد يجوس خلال الناس ، وجهه مشرق ،  
ولسانه وردى ، وطعامه مأكول بشهية  
بديعة ، ومع ذلك فهو ينفخ فى تلافيف  
جسده ملايين الملايين من الباشلاص فى  
أشد درجات النشاط بحيث يكفى ما يحمله  
منها لتلويث مقاطعة بأكملها [ ينض ] .

ل . . . فاعتماداً على العلم والعمل ، أن أشتبّه في  
أول قادم أن يكون حاملاً لميكروبات ،  
وها أنت ذا مثلاً لاشيء ، يؤكد لي أنك  
لست واحداً منهم . .

برنار : [ ينهض ] أنا يا دكتور ؟ !  
كنوك : ما أشد عجبى لو استمع إنسان لهذّه  
المحاضرة الثانية البسيطة وبقي بعدها رائق  
المزاج . :

برنار : هل تظن أنني يا دكتور من حاملي  
الميكروبات ؟

كنوك : ليس بالضرورة أنت ، إننى كنت أضرب  
مثلاً ، ولكن ها أنذا أسمع صوت الميسو  
موسكيه ، فإلى اللقاء يا عزيزى الميسو برنار ،  
وشكراً على انضمامك إلى ، هذا الانضمام  
الذى لم أكن أشك فيه قط . :

## المشهد الثالث

كنوك - الصيدلى موسكيه

كنوك : تفضل اجلس يا عزيزى المسيو موسكيه ،  
لم يسعنى الوقت أمس إلا أن ألقى نظرة  
عاجلة على محتويات صيدليتك ، ولكن  
لم أكن فى حاجة إلى مزيد لأنين أنها  
صيدلية ممتازة فى ترتيبها وفى النظام المحكم  
الذى يسودها ، وفى أخذها بأحدث  
الأساليب حتى فى أصغر الأشياء .

موسكيه : [ فى ثياب متواضعة بل مهملة ] يا دكتور  
أنت رجل مجامل جداً . .

كنوك : هذه مسألة أنا حريص عليها أشد  
الحرص ، فإني أعتقد أن الطيب الذى  
لا يتاح له الاعتماد على صيدلى من الدرجة  
الأولى ، هو بمثابة قائد جيش يمضى إلى  
المعركة بدون مدفعية . .

- موسكيه : يسعدنى أن أراك تقدر أهمية مهنتى . :
- كنوك : ويسعدنى أنا أيضاً أن أقول إن مؤسسة  
كمؤسستك لا شك أنها تلقتى جزاءها  
وأنتك تكسب فى السنة خمسة وعشرين  
ألفاً على الأقل . . .
- موسكيه : من الأرباح ؟ آه . . . يا إلهى لو أننى  
كسبت ولو نصفها . . .
- كنوك : يا عزيزى مسيو موسكيه ، إنك الآن  
لست أمام مندوب مصلحة الضرائب ،  
إنك أمام صديق بل دعنى أقول إنك  
أمام زميل . . .
- موسكيه : ستكون إهانة لك لا أرضاها لو عاملتك  
بجذر مستريب ، وإنما الذى قلته لك هو  
الحقيقة بعينها مع الأسف [ بعد فترة تريث ]  
إننى أكافح كفاحاً شديداً لئلا يقتصر  
مكسبى على عشرة آلاف . . .
- كنوك : ألا تدرك أنها فضيحة ؟ [ موسكيه يرفع  
كفيه بمرحة تدل على المزىء ] فلإن مبلغ

- خمسة وعشرين ألفاً كان في تقديري هو الحد الأدنى .. وليس لك مع ذلك منافس .. ؟
- موسكيه : ولا واحد إلا على بعد خمسة فراسخ . .
- كنوك : إذن ما السبب ؟ هل لك أعداء ؟
- موسكيه : لا أعرف أن لي أعداء .
- كنوك : [ ينفخ صوته ] هل صحيفتك بيضاء لا تسودها هفوة يؤسف لما نتيجة سهو مثلاً ؟ خمسون جراماً من صبغة الأفيون بدلا من زيت الخروع ، وهذا سهو ميسور وقوعه ؟
- موسكيه : عملت عشرين سنة فلم تقع مني هفوة واحدة . . صدقتي . .
- كنوك : إذن . . إذن . . إنني أمتت أن أتقدم بفروض أخرى ولكن سلفي . . هل كان مقصراً في واجبه ؟
- موسكيه : هذه مسألة يختلف فيها الرأي .
- كنوك : مرة أخرى أقول لك يا عزيزي مسيو

موسكيه إن الكلام سيبقى بيننا نحن  
الاثنين سرّاً . .

موسكيه : الدكتور بارباليد رجل ممتاز ، وكان  
بينى وبينه أحسن صلة شخصية . .

كنوك : ولكن «روشتاته» جميعاً لا تؤلف مجلداً  
ضخماً ؟

موسكيه : الحقيقة نطق بها لسانك أنت . .

كنوك : إننى حين أتدبر الآن جماع المعلومات التى  
جاءتنى عنه أشتاتاً أراى مدفوعاً إلى  
التساؤل عما إذا كان سألنى يؤمن  
بالطب . .

موسكيه : لقد بذلت غاية جهدى بإخلاص فى مبدأ  
الأمر فكنت إذا جاء الناس يشكون من  
أوجاع ، ورأيت أن حالهم يدعو إلى  
شئ من القلق ، أرسلت بهم إليه ،  
ثم كأن سلامهم كان سلام وداع  
فلا أراهم يعودون إلى أبداً . .

كنوك : إن هذه الأخبار لها تأثير على أشد

مما كنت أود ، إن لنا نحن الاثنين  
يا عزيزى مسيو موسكويه مهنتين من  
أحسن المهن عند الناس ، أليس من العار  
إذن العمل على الحط بها قليلا قليلا عن  
قمة عالية من السلطان والثراء بلغتها  
بفضل جهود أسلافنا ، تكاد الشفتان  
تنطلقان بعبارة تخريب مقصود . .

موسكويه : بلا جدال ، وإذا تركنا مسائل المال  
جانبا فن الإخلال بالواجب ترك المهنة  
تنحدر إلى ما هو دون مستوى السباك  
والبقال . أوكد لك يا دكتور أن زوجى  
لا تستطيع شراء القبعات والجوارب  
الحريرية التى تنبأى بها زوج السباك كل  
أيام الأسبوع لا يوم الأحد وحده . .

كنوك : اسكت يا صديقى العزيز ، فإننى أتوجه  
لكلامك فما هو إلا كأتى أسمع من يقول  
إن زوجة رئيس مجلس النواب قد انحدر  
بها الحال حتى أصبحت تغسل ملابس

بائعة الخبز من أجل أن تحصل على حاجتها  
من الأرغفة .

موسكيه : لو كانت مدام موسكيه هنا لأخذها  
الطرب لسماع كلامك .

كنوك : في منطقة مثل منطقة مركز سان موريس  
ينبغي لنا نحن الاثنين ألا نستطيع رفع  
رأسنا من كثرة العمل . . .

موسكيه : هذا حق . .

كنوك : إنني أعتبر من حيث المبدأ أن جميع أهالي  
المركز هم بحكم وجودهم وحده زبائن  
يعتمد عليهم .

موسكيه : جميع أهالي المركز ؟ أنت تطلب الكثير . .

كنوك : أقول أهالي المركز . .

موسكيه : الواقع أن كل واحد منهم لابد قاصدنا  
في يوم من الأيام في مناسبة من  
المناسبات .

كنوك : زبون مناسبة ؟ أبدا . . أبدا . . نريد

زبائن منتظمين . . زبائن مخلصين . .

موسكيه : ولكن ينبغي أولاً أن يفترسهم المرض .:

كنوك : يفترسهم المرض ؟ هذا فهم عتيق انهم  
أمام مقررات العلم الحديث ، وما الصحة  
إلا كلمة لاضير مطلقاً من حذفها من  
قاموسنا ، أما عن نفسى فإنى لا أعرف  
إلا أناساً مصابين بدرجات متفاوتة  
بأمراض تتكاثر عليهم بدرجات متفاوتة ،  
وتشتد علتها بدرجات متفاوتة ، وبطبيعة  
الحال إذا مضيت تقول لهم إنهم يتمتعون  
بكامل الصحة فإن تصديقك عندهم هو  
منى القلب ، ولكنك تخدعهم ، والاعتذار  
الوحيد المعقول هو التعلل بكثرة العمل  
عند رفض قبول زبائن جدد .:

موسكيه : هذه مبادئ جميلة على كل حال :

كنوك : مبادئ تطابق كل المطابقة مبتكرات العصر  
الحديث ، امنحتها فكرك يا مسيو موسكيه

فستجدها وثيقة الصلة بمبدأ الأمة المسلحة  
التي هي عماد قوة الأمم .

موسكيه : أنت رجل فكر يا دكتور كنوك ، ومهما  
قال أعجاب المذهب المادى : فإن الفكر  
هو الذى يقود العالم .

كنوك : [ ينهض ] انصت إلى [ الاثنان واتقان  
ركنوك يتناول يد موسكيه ] لعلى أكون رجلاً  
مغروراً ولعل الزمن يجيئ لى خيبة أمل  
مريرة ، ولكن بعد سنة فى مثل يومنا  
هذا لا قبل ولا بعد ، إذا لم تكن قد  
كسبت دخلاً صافياً قدره خمسة وعشرون  
ألفاً ، وهو دخل من حقلك أن تناله ،  
وإذا لم تفز مدام موسكيه بما يتطلبه مقامها  
من أثواب وقبعات وجوارب فلك أن  
تصب على لعناتك هنا وسأمنحك وجهي  
لتهوى على كل خلد بصنعة . .

موسكيه : يا عزيزى الدكتور سأكون ناكراً للجميل

إذا لم أفض في شكرك ، وسأكون وضيعاً  
إذا لم أعنك بكل قواى . :

كنوك : حسن . حسن . اعتمد أنت على ، كما  
أعتمد أنا عليك . .

### المشهد الرابع

كنوك والسيدة ذات الثوب الأسود

[ عمرها خمس وأربعون سنة ، تتم هيبتها عن شح  
أبناء الريف ، وعن معاناتها لمرض الإمساك ]

كنوك : آه . . ها هم الزبائن شرفوا [ يرفع صوته  
يخاطب إنساناً من وراء الباب ] إتنا عشر ؟ !  
ينبغي إبلاغ القادمين الجدد ، أننى بعد  
الساعة الحادية عشرة والنصف لن أستقبل  
مرضى غرضهم الكشف مجاناً ، هل أنت  
يا سيدتى أول من قدم [ يدخل السيدة ذات  
الثوب الأسود ويقفل الباب ] أنت من أهالى  
المركز ؟

السيدة ذات الثوب الأسود : لا . . . إننى تابعة للبندر . .

كنوك : من سان موريس ذاتها ؟

السيدة : إننى أسكن فى المزرعة الكبيرة الواقعة على طريق لوشير .

كنوك : والمزرعة هى ملكك ؟

السيدة : نعم هى ملكنا أنا وزوجى . .

كنوك : إذا كنتم تزرعونها لحسابكما ، فلا شك أنكما غارقان فى العمل إلى الأذان . .

السيدة : وماذا تظن يا سيدى ؟ ، . . ثمانى عشرة بقرة ، وعجلان ، وثوران ، وحصان ، وفرس ، وست من الماعز ، وضعفنها من الخنازير ، هذا علاوة على الدجاج والبط والحمام . .

كنوك : عجباً . . ! أليس عندكم خادم ؟

السيدة : نعم بطبيعة الحال . . ثلاثة رجال وامرأة عدا عمال باليومية فى موسم الحصاد . .

- كنوك : قلبي معلق ، لاشك لم يبق لك وقت للاعتناء بصحتك . .
- السيدة : نعم لا أجد الوقت . .
- كنوك : بالرغم من أنك مريضة ؟
- السيدة : لا يصدق القول بأني مريضة ، وإنما أشعر بضعف . .
- كنوك : نعم أنت تقولين إنه الضعف ، [ يقتر ب منها ] اخرجي لسانك . . . أرى أن شبيتك للطعام ضعيفة . .
- السيدة : نعم . . هي كذلك . .
- كنوك : أنت تعانين من الإمساك .
- السيدة : نعم بقدر محسوس . .
- كنوك : [ وهو يفحصها ] اخفضي رأسك ، تنفسي ، اسعلي ، ألم يحدث لك في صباح أنك وقعت من على سلم ؟
- السيدة : لا أذكر . .

كنوك : [ بمالج ظهرها بالجس والترع عليه ، ثم يضغط  
فجأة على كليتها ] ألم تشعرى هنا بألم وأنت  
تأوين إلى فراشك فى المساء ؟

السيدة : نعم فى بعض الأحيان . .

كنوك : [ وهو ماض فى فحصها ] حاولى التذكر ،  
لا بد أنه كان سلماً عالياً . .

السيدة : جائز جداً . .

كنوك : [ بلهجة مؤكدة ] إنه كان سلماً طوله ثلاثة  
أمتار ونصف مستنداً إلى الجدار ، ووقعت  
منه على ظهرك ، ومن حسن الحظ أن  
إلتك اليسرى هى التى أصيبت . .

السيدة : أى نعم . .

كنوك : هل سبق لك استشارة الدكتور بارباليد ؟

السيدة : أبداً . .

كنوك : لماذا ؟

السيدة : لأنه كان لا يكشف على المرضى مجاناً .

[ لحظة صمت ]

- كنوك : [ يجعلها تجلس ] هل تدركين ما بك ؟
- السيدة : كلا .
- كنوك : [ يجلس أمامها ] هذا أفضل ، ولكن هل لك رغبة في الشفاء أم ليس لك رغبة ؟
- السيدة : نعم لي رغبة في الشفاء .
- كنوك : الأفضل إذن أن أنبهك فوراً أن العلاج سيكون طويلاً ونفقتة كبيرة .
- السيدة : آه . . . يا إلهي . . . ولم هذا ؟
- كنوك : لأنه لا يمكن في خمس دقائق شفاء مريض عمره أربعون عاماً . . .
- السيدة : أربعون عاماً ؟ !
- كنوك : نعم . . . أى منذ أن وقعت من على السلم . . .
- السيدة : وكم سيكلفني العلاج ؟
- كنوك : كم يبلغ ثمن العجل الآن ؟
- السيدة : هذا يتوقف على السوق وعلى حجم العجل ، ولكن لا يمكن شراء عجل

بملاً العين بأقل من أربعمائة أو خمسمائة  
فرنك . :

كنوك : وثنم الخنزير السمين ؟

السيدة : يبلغ ثمن بعضها ألفاً . .

كنوك : إذن سيكلفك العلاج عجلين وخنزيرين  
تقريباً . .

السيدة : آه . : آه . . ثلاثة آلاف فرنك

تقريباً ؟ هذه نكبة يا إلهي !

كنوك : إذا كنت تفضلين الحج إلى مكان مقدس

طلباً للشفاء فإني لا أمانع في ذلك . .

السيدة : مثل هذا الحج يكاف كثيراً أيضاً ،

ثم يكون بلا جدوى في أغلب الأحيان . :

[ فترة صمت ] ولكن هل في شيء جسم

حتى يستدعي الأمر كل هذا العناء ؟

كنوك : [ وهو يبالغ في معاملتها بأدب وبجمالة ]

سأشرح لك الأمر على السبورة في دقيقة

واحدة [ يذمب إلى السورة ويخط عليها رسماً

تخطيطياً ] هذا هو قطاع من نخاعك

الشوكى وفي صورة إجمالية ، أفاهمة  
 أنت ؟ تبيين هنا مجمع أعصاب  
 توريك ، وهنا عمود كلارك . . هل  
 أنت معي ؟ حسناً . . فحينما سقطت من  
 على السلم تحرك توريكك وكلاركك إلى  
 اتجاه عكسى ، [ يرسم أسهماً تبيين الاتجاه ]  
 حركة بمقدار ١ : ١٠ من المليمتر ،  
 ستقولين إن هذه مسافة هينة جداً . .  
 طبعاً . . ولكنهما اتخذوا وضعاً سيئاً ،  
 وثم عندك جذب مستمر يضغط على  
 مجمع الأعصاب [ يمسح أسابه ] :

السيدة : يا إلهى . . يا إلهى . .  
 كنوك : ليكون فى علمك أنك لن تموتى بين عشية  
 وضحاها ، فأمامك وقت . .  
 السيدة : آه . . آه . . ما أسوأه من حظ أن  
 سقطت من على هذا السلم . .  
 كنوك : إني أتساءل : أليس من الأفضل ترك  
 الحالة على ما هى عليه ، فإن المال

كسبه عسير ، أما سنى الشيخوخة

فوفورة وإن كانت مباحجها قليلة : .

السيدة : سأكون صفيقة وأسألك : هل تستطيع

إذا عاجلتنى بأيسر جهد أفلا أنال الشفاء

بشمن أقل بشرط أن يكون العلاج بالطبع

ممتناً ؟

كنوك : كل الذى أستطيع اقتراحه عليك هو أن

تضعى نفسك تحت الملاحظة ، ولن

يكلفك هذا شيئاً تقريباً وبعد بضعة

أيام ستبينين بنفسك كيف يكون سير

المرض ثم تصلرين قرارك ؟ ؟

السيدة : نعم هذا هو رأى . .

كنوك : حسن : : مستعودين إلى دارك ؟ ؟

هل جئت راكبة ؟

السيدة : كلا ، وإنما سيراً على الأقدام . .

كنوك : [ وهو جالس على المكتب يكتب الروشة ]

لامفر لك من العثور على عربة تعود بك ،

وبمجرد أوبتك تأوين إلى فراشك فى

حجرة لا يكون بها أحد غيرك بقدر  
الإمكان ، وأغلقى النوافذ وأسدلى  
الستائر حتى لا يضايقك النور ، وأمنع  
أحدًا من أن يكامك . الأكل مدة  
أسبوع مقتصر على السوائل وحدها :  
تناولى كوبا من ماء فيثى كل ساعتين ،  
وعند الضرورة نصف بسكويتة مرة في  
الصباح ومرة في المساء بعد غمسها في  
قليل من اللبن : ومع ذلك فإنى أفضل  
الاستغناء عن البسكويت ، لا يتأتى لك  
القول بأننى وصفت لك علاجاً غالباً جداً ،  
وسرى بعد أسبوع كيف تكون حالتك ،  
فإذا احتفظت بشجاعته ، وأمكنك  
استعادة قوتك وبشاشتك ، فإن هذا  
يعنى أن المرض أقل خطراً مما يتصور ،  
وسأكون أول من يطمئنك ، أما إذا  
شعرت على العكس بضعف عام وثقل  
فى الرأس وخمول عند اليقظة ، فلن يبقى

عمل للتردد وحينئذ نبدأ في العلاج .  
هل انفقنا ؟

السيدة : [ تنهد ] الرأي رأيك . .

كنوك : [ يشير إلى الروشة ] كتبت لك على سبيل  
التذكير في هذه الروشة كل التعليمات ،  
وسأذهب لزيارتك قريباً [ يلم إليها الروشة  
ويشبهها وينادى لمن وراء الباب : يا مارييت :  
ساعدى السيدة على نزول درجات السلم وحل  
عشورها على عربة ] . . [ يلمح المشاهد وجوه  
نفر من الزبائن يستقبلون السيدة وهي خارجة  
بخوف واحترام ] .

## المشهد الخامس

كنوك والسيدة ذات الثوب البنفسجى

[ عمرها ستون سنة . . كافة ما عليها من ثياب  
من لون بنفسجى ، تتوكأ بكبرياء على عصا يألفها  
هواة تسلق الجبال ] .

السيدة ذات الثوب البنفسجى : [ بلهجة فيها استعلاء ] لاشك

يدهشك يا دكتور مجيئى إليك . .

كنوك : نعم بعض الدهشة يا سيدتى . .  
السيدة : لك فى الواقع أن تعجب عجباً غير قليل  
من أن تأتى لاستشارة مجانية سيدة زوجها  
من أسرة بونس وأبوها من أسرة  
لامبوماس .

كنوك : أفضل أن أقول إن فى مجيئها تشریفاً لى :  
السيدة : ربما ستقول إن هذه إحدى نتائج الفوضى  
السائدة هذه الأيام ، فعلى حين نرى  
عدداً كبيراً من أوشاب الناس وتجار  
الخنازير يتبحثرون فى العربات الفاخرة  
ويختسون الشمبانيا مع الممثلات ، إذا بسيدة  
يجرى فى عروقها دم أسرة لامبوماس ،  
وتتمد سلالة أسرتها العريضة بلا انقطاع  
إلى القرن الثالث عشر ، وكانت تملك فى  
وقت ما نصف هذه البلاد وترتبط  
بصلات وثيقة مع كافة أسر النبلاء  
والأعيان فى هذه المقاطعة ، ينحدر بها

الحال إلى حد أن تقف في الصف تنتظر دورها مع الفقراء والفقيرات من أهالي سان موريس ، أعرّف يا دكتور أن الحال فيما مضى كانت أحسن من ذلك ؟

كنوك : [ وهو يجلس ] نعم مع الأسف ياسيدنى . .  
السيدة : لا أقول لك إن دخلى قد بقى كما كان من قبل أو أننى احتفظت بمنزل يعج بسة من الخدم وباصطبل به أربعة خيول كما كانت تتطلب مكانة أسرنا حتى موت عمى ، بل إننى بعث فى العام الماضى مزرعة ورثتها عن جدتى مساحتها مائة وستون هكتارا هى مزرعة ميشويل ، وهذا الاسم فى قول قسيسنا مشتق من كلمة يونانية وأخرى لاتينية تفيد معنى كراهية الفطر ، والسبب أنه لم يعثر قط على نبت واحد من هذا الفطر فى المزرعة كلها كما لو كان بين الأرض وبينه كراهية ، والواقع أنى لم أصب منها بعد

خضم الضرائب ونفقات التعمير إلا دخلا  
ضئيلا وبالأخص بعد وفاة زوجي فإن  
المزارعين عمدوا إلى استغلال الموقف  
وأخذوا يلاحقونني بطلب تخفيض الإيجار  
أو تأجيل دفعه ، لقد ضقت ذرعاً ،  
كفى . . كفى . . أفلا تعتقد إذن  
يا دكتور بعد استعراضى للموقف على  
مختلف جوانبه أنني كنت على حق في  
التخلص من هذه المزرعة ؟

كنوك : [ لم يقطع عن الإنصات إليها بانتباه ] هذا  
ياسيدتى هو اعتقادى وبالأخص إذا  
كنت تحبين نبات الفطر ، وإذا كنت  
من ناحية أخرى قد أحسنت توظيف ثمن  
المزرعة . .

السيدة : أى . . لقد وضعت أصبعك على الجرح  
الداى ، فإنى أسأل نفعى ليل نهار عما إذا  
كنت أحسنت توظيف نقودى فإنى أشك  
فى ذلك كثيراً ، فقد اتبعت نصيحة هذا

الموثق الأحق . وإن كان أطيب الرجال ،  
ولكنى أعتد أنه أقل فطنة من المنضدة  
الصغيرة التى تستعين بها زوجته العزيزة  
كما تعلم فى تحضير الأرواح ، وقد  
اشتريت بالأخص أسهم شركات مناجم  
الفحم . فما رأيك يا دكتور فى هذه  
الأسهم ؟

كنوك : هى على العموم أوراق مالية لها قيمتها ،  
وهى محببة بعض الشيء للمضاربين لأن  
سعرها يتقلب بين ارتفاع غير معقول  
وهبوط لا تفسير له .

السيدة : آه . . يا إلهى . . إن جلدى يقشع إذ  
يخيل إلى أننى اشتريتها فى ذروة ارتفاع  
أسعارها وقد وضعت فيها أكثر من خمسين  
ألف فرنك . وإنه لمن الحقاقة لمن لا يملك  
ثروة طائلة أن يوظف فى أسهم شركات  
مناجم الفحم مثل هذا المبلغ الذى دفعته .

كنوك : فى الواقع يخيل إلى أن مثل هذا التوظيف

يفغى ألا يستأثر بأكثر من واحد على  
عشرة من ثروة الشخص كلها . :

السيدة : آد واحد على عشرة لا أكثر ؟ فإذا كان  
التوظيف لا يزيد على هذه النسبة فأنت  
لا تصفه بالحماقة ؟

كنوك : بالتأكيد لا . .

السيدة : أنت تعلمتنى يا دكتور ، وقد كنت  
مناهقة على من يطمئننى ، أنت لا تدرى  
أى هم ألقاه فى رعاية ما فى يدى من  
قرشين ، وأقول لنفسى أحيانا : جبدا  
بهموم أخرى لتطرد هذا المهم عنى ، فإن  
الإنسان جبيل يا دكتور على طبع يرثى له ،  
فقدر عليه ألا يفلح فى إقصاء هم إلا بشرط  
أن يخجل هم آخر محله . ولعلنا ننع على الأقل  
بشئء من الراحة فى هذا التغيير والتبديل ،  
فإنى أود أن أنتقع عن التفكير طول  
النهار فى المستأجرين والمزارعين والأسهم  
والأوراق المالية لأننى لا أستطيع فى العمر

الذى بلغته أن أجرب المغامرات الغرامية. :  
آه . . آه . . آه . . ولأن أقوم برحلة  
حول العالم ، ولكنك تنتظر منى ولا ريب  
أن أفسر لك لماذا اتخذت مكانى فى الصف ،  
أنتظر كشفاً مجانياً .

كنوك : مهما يكن السبب يا سيدى فإنه بلا شك  
سبب وجيه .

السيدة : إليك إذن التفسير ، أردت أن أضرب  
مثلاً ، فقد وجدت أنك استلهمت  
يا دكتور فكرة بديعة نبيلة ولكنى أعلم  
أهل بلدى ، فقلت لنفسى هذا شئ  
لم يألفوه ، فهم إذن لن يذهبوا ،  
وسيكون الإعراض هو كل ما يجنيه هذا  
السيد جزاء على كرمه ، حينئذ قالت لى  
نفسى إنهم لو رأوا سيدة زوجها من  
أسرة بونس وأبوها من أسرة لامبوماس  
لا تردد فى افتتاح الكشف المجانى ، فإنهم  
لن ينجلوا من أن يخذوا حنوها على مرأى

من الناس ، ذلك أن أقل تصرفاتى  
وحرركاتى هى موضع المراقبة والتعليق ،  
وهذا شىء طبيعى .

كنوك : إن هذا سعى محمود منك ياسيدتى  
وأشكرك عليه . .

السيدة : [ تنهس وكأنها تؤذته بأنها تنصرف ] كان لى  
غاية السرور يا دكتور أنتى تعرفت إليك  
وأنتى ألزمت دارى بعد الظهر كل يوم ،  
ويأتى لزياراتى بعض الأصدقاء فنجتمع  
حول براد شاي من عهد لويس الخامس  
عشر ورثته عن أجدادى ، فسيكون لك  
دائماً فنجان معد لك ينتظرك .  
[ كدوك يحس أمامها ، على حين أنها تتقدم ثانية  
نحو الباب ] أنت تعلم أننى حقيقة معذبة  
جداً جداً بسبب المستأجرين والأوراق  
المالية ، وقد ينقضى الليل كله دون أن  
أنام ، ياله من إعياء فظيع . . أتعرف  
يا دكتور حيلة تجلب النوم ؟

- كنوك : تعانين الأرق منذ زمن طويل ؟
- السيدة : منذ زمن طويل جداً . . . جدا . . .
- كنوك : وهل تحدثت عنه إلى الدكتور بارباليد ؟
- السيدة : نعم . . . مراراً عديدة . . .
- كنوك : وماذا قال لك ؟
- السيدة : نصحتني أن أقرأ كل مساء ثلاث صفحات من القانون المدني ، إنها كانت دعاية منه ، فإن الدكتور بارباليد لم ينظر إلى الأمر نظرة جدية . . .
- كنوك : لعاه كان مخطئاً لأن من الأرق حالات تتم عن خطر بليغ . . .
- السيدة : حقاً . . . ؟
- كنوك : قد يكون سبب الأرق راجعاً إلى اضطراب أساسي في سريان الدم في عروق المخ وبالأخص إلى علة في هذه العروق التي تسمى « خرطوم النرجيلة »

وقد تكون عروق نخك يا سيدتى على  
هذه الصورة . .

السيدة : يا الهى . . . خرطوم النرجيلة ؟ أياكون  
للتبغ يا دكتور دخل فى ذلك ؟ إنى  
أستعمل أحياناً السعوط . .

كنوك : هذه مسألة ينبغى فحصها ، وقد يأتى  
الأرق أيضاً من إصابة بالتهاب الأعصاب  
تؤثر على المادة السنجابية تأثيراً عميقاً  
متوالياً . .

السيدة : يا لما من حالة فظيعة . . . اشرحها لى  
يا دكتور . .

كنوك : تصورى أخطبوطاً أو عنكبوتاً ضخماً  
يلتهم نخك على مهل قرصاً وامتصاصاً  
وتمزيقاً . .

السيدة : أوه [تتأوى فى مقعد] من يسمع كلامك  
معذور إذا أغشى عليه من شدة النزع ؛  
لاشك أن هذه هى حالتى فإنى أشعر بها

بوضوح ، أرجوك يا دكتور اقتلني على  
النور بعنقته واحدة ، ولكنني أراجع نفسي  
وأقول : لا تتخل عني يا دكتور فقد  
هويت إلى أعرق درجات الفزع . : ،  
[ سمّت ] لا بد أنها علة لا شفاء لها أبداً  
علة مميتة . .

- كنوك : كلا . .  
السيدة : هل هناك أمل في الشفاء ؟  
كنوك : نعم . . على مدى الزمن . .  
السيدة : لا تخدعني يا دكتور . . أريد أن أعرف  
الحقيقة . .  
كنوك : المسألة كلها تتوقف على انتظام العلاج  
ومدته . .  
السيدة : علاج ماذا ؟ أهذه الأشياء التي تشبه  
خرطوم النرجيلة أو العنكبوت ؟ إذ أشعر  
بوضوح أنه العنكبوت . :  
كنوك : الشفاء ميسور من هذا وذاك ، وما كنته .

لأجروء على أن أمد في هذا الأمل للمريض  
من عامة الناس لا يتيح له وقته ولا موارده  
أن يعالج نفسه بأحدث الوسائل العلمية ،  
أما بالنسبة إليك فالأمر مختلف . .

السيدة : [ تنهض ] سأكون بين يديك مثالا للطاعة  
خاضعة كالجرو الصغير ، وسأتحمل كل  
علاج تقرره وبخاصة إذا لم يؤثني ألماً  
شديداً . .

كتوك : لن تشعرين بأقل ألم إذ أن الأشعة هي  
التي سنلجأ إليها كوسيلة للعلاج ،  
والصعوبة الوحيدة هي أن يكون لك صبر  
على متابعة العلاج بأناة لمدة سنتين أو  
ثلاث ، وأن يكون بجانبك طيب يلزم  
نفسه ألا ينقطع عن مراقبة تقدمك نحو  
الشفاء وأن يضبط زمن جلسات الأشعة  
ضبطاً دقيقاً ، وأن لا يتوانى عن زيارتك  
كل يوم تقريباً . .

السيدة : آه . . أما عن نفسى فإن فضيلة الصبر  
لا تنقصنى ، ولكنك يا دكتور أنت الذى  
قد لا تريد أن تواظب على علاجى طوال  
المدة اللازمة لى . .

كنوك : لا أريد . . لا أريد . . أنا لا أريد  
غير ذلك . المهم أن أقدر على ذلك ، هل  
تسكنين بعيداً عن هنا ؟

السيدة : أبداً ، بل على بعد خطوتين ، فنزلى  
أمام القباني العمومى . .

كنوك : سأحاول أن أخطف رجلى لأذهب إليك  
كل صباح فيما عدا يوم الأحد وفيما عدا  
يوم الاثنين بسبب مواعيد عيادتي ٥٥

السيدة : ألا يكون يومان متتاليان فترة انقطاع  
أطول مما ينبغي ، وهكذا أبقى بدون  
علاج من السبت إلى الثلاثاء ؟

كنوك : سأترك لك تعليقات تفصيلية دقيقة ، ومع  
ذلك إذا وجدت فى متع وقتى دقيقة

فإني أمر عليك يوم الأحد صباحاً أو يوم  
الاثنين بعد الظهر . . .

السيدة : الحمد لله . . الحمد لله . . [ تنهض ]  
وما الذي ينبغي لي أن أفعله فوراً ؟

كنوك : عودي إلى دارك والزمي حجرة نومك ،  
وسأذهب إليك غداً صباحاً ، وأتولى  
فحصك فحصاً شاملاً . .

السيدة : أليس لي دواء أتناوله اليوم ؟

كنوك : هيه . . نعم [ يكتب الروشنة بسرعة ]  
مرى على مسيو موسكيه واسألبيه أن يعد  
لك فوراً هذه الروشنة الصغيرة الأولى : :

### المشهد السادس

كنوك - وفتيان من أهل الريف

كنوك : [ يتأدى لمن وراء الباب ] مارييت . : :  
يا مارييت ، ما هذا الحشد الغفير  
[ ينظر إل ساعته ] ألم تعلمي أن العبادة

المجانبة تنتهى عند الساعة الحادية عشرة  
والنصف ؟

- صوت مارييت : نعم أعلنتهم ، ولكنهم يريدون البقاء .  
كنوك : من هو صاحب الدور الأول ؟ [ يتقدم  
إليه الفتيان وهما يكتمان الضحكات ويتبادلان  
اللكمات بالكوعين والتميزات بالأعين ثم ينفجران في  
ضحكة يكتبها بوضع اليد على الفم ومن ورائهما  
يشاهد الأهال وهم يجدون في تصرفاتهما منظرأ  
ظريفاً مسياً ، فتثور بينهم ضجة والدكتور كنوك  
يزعم أنه لا يرى شيئاً ] من منكما صاحب  
الدور ؟

الفتى الأول : [ ينظر جانباً ويخفق ضحكة سببية ] هي ؟ ؟  
هي . . هي . . [ نحن الاثنين ] هي . .  
هي . . هي !

كنوك : ما أحسبكما متقدمين معاً ؟

الفتى الأول : نعم . . هي هي ! نعم . : نعم  
[ صوت ضحك من وراء الباب ] .

كنوك : لا أستطيع قبولكما معاً ، فليقع اختياركما  
على واحد منكما ، ثم يخيل إلى أننى

لم أركبا من قبل ، فهناك أناس قدموا  
قبلكما . .

الفتى الأول : لقد تخلوا لنا عن دورهم ، لك أن  
تسألهم . هي : هي : هي . هي ! [ ضحكات  
مسموعة ومكتومة ] .

الفتى الثاني : [ وقد تملك جرأته ] نحن الاثنين متلازمان  
دائماً . . نحن ثنائى لا ينفصل . هي هي  
هي ! [ ضحكات تثبت من الأعالى ] :

كنوك : [ يضغط على شفطيه ويقول بلهجة فى غاية  
البرود ] ادخللا [ يقفل الباب ثم يقول للأول :  
اخلع ثيابك ، ويشير إلى الثانى : وأنت اجلس  
هنا ] [ الفتيان يتبادلان الإشارات والضحكات  
المكتومة بشئ من الافتعال ]

الفتى الأول : [ وقد خلع ملابسه إلا سروال والقميص ]  
أبغى أن أخلع بقية ثيابى وأصبح عارياً ؟  
كنوك : اخلع أيضاً قميصك [ الفتى يلبس ثعب  
القميص فائلة بغير أحكام ] هذا يكفى [ كنوك

يقترّب منه وينور حوله يحس جسده ويدق عليه  
ويضع أذنه هنا وهناك ويجذب جلده ويقلب  
جفنيه وشفتيه ، ثم يتناول جهاز فحص الحلق  
ذا المرأة ويلبسه على رأسه متمهلاً ثم يضيء فجأة  
في وجه الفتى نوراً يعمي الأبصار ويسلطه إلى  
داخل حلقه وعلّ حينه ، ولما تبين من الفتى  
استسلامه يشير كنوك له إلى المقعد الطويل [ :  
ارقد هنا . . هيا ضم ركبتيك [ يحس البطن  
ويضع الساعة هنا وهناك [ مد ذراعك . .  
[ يفحص النبض ويقبس ضغط الدم ] حسن . .  
ارتد ملابسك [ لحظة صمت والفتى يرتدى  
ثيابه [ هل أبوك حي ؟

الفتى الأول : كلا . . إنه قد مات . .

كنوك : موتاً مفاجئاً ؟

الفتى الأول : نعم .

كنوك : هذا هو تقديري . . لاشك أنه لم يكن  
متقدماً في العمر .

الفتى الأول : كلا . . إنه وصل إلى التاسعة والأربعين .

كنوك

: أعاش إلى هذا الحد ؟ [ صمت طويل .

لم يبق لدى الفتيين أقل رغبة للضحك ، ثم يذهب  
كنوك ينتب في ركن من الحجرة بين أشياء مستندة  
إلى قطع من الأثاث ، ثم يستخرج منها لوحا من  
الكرتون تبين بالصورة الأحشاء الداخلية عند الرجل  
السليم وعند الرجل السكران المدمن ، ثم يقول للفتى  
الأول بلهجة مؤدبة [ سأوضح لك كيف  
أصبحت أحشائك الداخلية الرئيسية :  
هاتان هما الكليتان عند الرجل السليم ،  
وهذه هي صورة كليتك أنت [ بين كل  
جملة وأخرى نثرة تربث [ هذا هو كبلك . .  
هذا هو قلبك . . ولكن القاب عندك أشد  
عظما مما تبينه الصورة [ ثم يمضى كنوك بهدوء  
ليعيد اللوحات إلى مكانها ] .

الفتى الأول

: [ بنجل شديد ] إذن ينبغي أن أتقطع عن

شرب الخمر . .

كنوك

: هذا شأنك . . افعَل ما تراه .

[ لمظة صمت ]

الفتى الأول : هل هناك دواء أتأوله ؟

كنوك : لا فائدة في ذلك أبداً [ إل الفتى الثاني ] :  
جاء دورك الآن . .

الفتى الأول : إن شئت يا حضرة الدكتور عدت  
للكشف أذفع أجرة . : -

كنوك : لا فائدة من ذلك أبداً . :

الفتى الثاني : [ وهو منكش منسائل ] إننى يا حضرة  
الدكتور لأشكو من أى مرض . .

كنوك : وكيف تعرف ذلك ؟

الفتى الثاني : [ يتراجع وهو يرتعد ] صحتى على ما يرام  
يا حضرة الدكتور .

كنوك : إذن لماذا جئت ؟

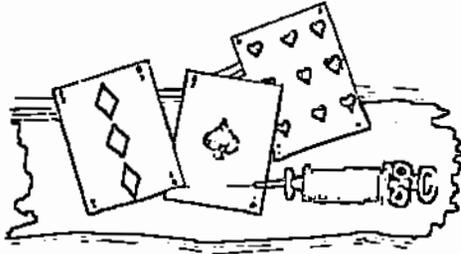
الفتى الثاني : [ دون أن تتغير حالته ] لأصعب رفيقى . .

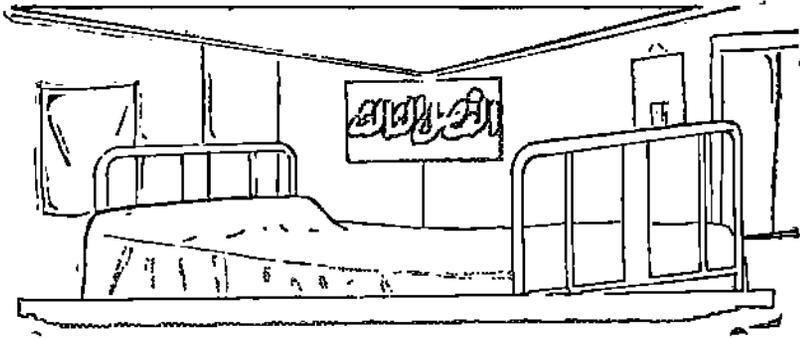
كنوك : أليس هو بالرجل الرشيد يملك زمام نفسه  
فيأتى وحده ؟ هيا اخلع ملبسك .

الفتى الثاني : [ يتجه لباب ] كلا . . كلا يا حضرة  
الدكتور ، ليس اليوم ، سأعود يا حضرة  
الدكتور ! [ صت ] .

كنوك

: [يفتح الباب ، تسمع ضجة الأهل وهم يضعون  
من سابق ويترك كنوك الفتية يبران فيخرجان  
وعلى وجهيهما علامات متباينة تم عن الإعياء والملح  
ثم يشقان الزحام وقد هبط عليه فجأة صمت  
جنانزي ] .





[ الردهة الكبيرة في فندق المفتاح ، بها كل علامات تحويل فندق مدينة في الريف إلى فندق مخصص للاستشفاء ، لا يزال ياقياً على الجدران « نتائج تبين تاريخ اليوم » وعليها أسماء مهديتها من شركات بيع الخمور ، إلا أن العين تقع على منابض وحواف الأثاث مكسوة بالنيكل والجدران مطلية بدهان أبيض ، ومناشف بيض معقمة ] .

## المشهد الأول

مدام ريمى - سيديون

- مدام ريمى : هل وصلت العربية يا سيديون ؟  
 سيديون : نعم يا سيدتى .  
 مدام ريمى : قبل إن الطريق سدته الثلوج . .  
 سيديون : المسألة بسيطة لا يزيد التأخير عن ربع ساعة .

- مدام ريمى : لمن هذا المتاع ؟
- سييون : لسيدة من ليثرون . : جاءت للكشف عليها . .
- مدام ريمى : ولكننا حسبناها لاتصل إلا هذا المساء . :
- سييون : هذا خطأ فإن السيدة القادمة هذا المساء هي من سان مارسيلين . :
- مدام ريمى : وهذه الحقيبة ؟
- سييون : هي حقيبة « أبوكشورة » . :
- مدام ريمى : كيف ؟ مسيو بارباليد هنا ؟
- سييون : هو قادم خلفى بمسافة خمسين متراً . .
- مدام ريمى : ما هو غرضه من المجيء ؟ ليستعيد عبادته بالطبع . .
- سييون : ربما جاء يطلب الكشف عليه :
- مدام ريمى : ولكن لم يبق عندنا من حجر خالية إلا الحجرة رقم ٩ ورقم ١٤ ، وقد حجزت رقم ٩ للسيدة القادمة من سان مارسيلين ، وستكون الحجرة رقم ١٤ للسيدة القادمة

من ليثرون ، فلماذا لم تقل « لأبوكشورة »  
إنه لن يجد له حجرة خالية ؟

سيبيون : لأنني كنت أعلم أن الحجرة رقم ١٤ الخالية

أصبحت محجوزة للسيدة القادمة من  
ليثرون . . وما كان لي بغير تعليمات أن  
أفاضل بينها وبين « أبوكشورة . . »

مدام ريمي : هذا شيء يضايقتني جداً . .

سيبيون : دبري أنت حلاً للإشكال أما أنا فبئس أن

أنصرف لخدمة المرضى . .

مدام ريمي : لا لزوم لذلك ياسيبيون انتظر مسيو

بارباليد واطرح له أن جميع الحجرات  
مشغولة ، فإنني لا أستطيع أن أقول له  
ذلك بنفسى . .

سيبيون : آسف ياسيدتي ، أصبح وقتي لا يتسع

إلا لارتداء معطفي فإن الدكتور كنوك على  
وشك الوصول وعلى أن أجمع البول من  
الحجرة رقم ٥ و ٨ والبصاق من الحجرة  
رقم ٢ وأن أقيس حرارة شاغلي الحجرات

رقم ١ ، ٣ ، ٤ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ وبقية  
الحجرات أيضاً ، ولا أود أن يفتح  
حلقة على . . .

مدام ريمى : أفلا تحمل على الأقل متاع هذه السيدة إلى  
الدور الأعلى ؟ . . .

سيبيون : والخادمة . . ماذا تفعل ؟ هل « تلضم »  
اللؤلؤ ؟ .

[ يخرج سيبيون من المسرح وتحذر مدام ريمى  
حنوه حين ترى بارباليد قادماً ] .

### المشهد الثانى

بارباليد وحده ثم تأتى إليه الخادم

بارباليد : ألا يوجد أحد هنا ؟ مدام ريمى !

سيبيون ! هذا شيء محير : ها هي حقيبتى  
وجدتها على الأقل . . سيبيون . . .

الخادمة : [ تدخل وهي في ثياب الممرضات ] سيدى  
ما هو طلبك ؟

بارباليد : أريد أن أرى صاحبة الفندق :

- الخدّامة : لماذا يا سيدي ؟
- الدكتور : لتعطيني حجرة ..
- الخدّامة : أنا لاخبر عندي ، هل أنت من المرضى الذين طلبوا حجز حجرة لهم ؟ ..
- الدكتور : إنني لست من بين المرضى يا آنسة ..
- إنني طيب ! : .
- الخدّامة : آه .. جئت تعمل مساعداً للدكتور ؟
- الواقع أنه في حاجة إلى من يساعده ..
- الدكتور : ولكن .. ألا تعرفيني يا آنسة ؟
- الخدّامة : كلا .. أبداً ..
- الدكتور : الدكتور بارباليد ! كنت لثلاثة أشهر خلعت طبيب سان موريس ، لاشك أنك لست من أهالي البلد . :
- الخدّامة : كلا بل إنني من أهالي البلد ، ولكن ماكنت أعلم أنه كان بها طبيب قبل الدكتور كنوك [ لفظه ست ] عن إذذك يا سيدي ، السيدة صاحبة الفندق ستأتي

إليك ولا ريب ، فإنه أمانى أن أعتم  
أكياس الومائد .

الدكتور : هذا الفندق أصبح له وجه عجيب . .

### المشهد الثالث

بارباليد - ثم مدام ريمى

مدام ريمى : [ تسترق النظر ] إنه لا يزال باقياً [ ثم تقرر  
قرارها ] صباح الخير يا مسيو بارباليد ،  
أرجو أن لا تكون قد أتيت تطلب سكناً  
عندنا .

الدكتور : أى نعم ، كيف حالك يا مدام ريمى . .

مدام ريمى : على أحسن حال . . ليست لدينا حجرة  
واحدة خالية . .

الدكتور : هل اليوم هو يوم السوق ؟

مدام ريمى : كلا . . إنه ليس يوم السوق . .

الدكتور : وكل الحجرات عندك مشغولة فى يوم

هو ليس يوم السوق ؟ ولم كل هؤلاء  
هؤلاء الناس إذن ؟

مدام ريمى : مرضى . .

الدكتور : مرضى ؟

مدام ريمى : نعم أناس تحت العلاج .

الدكتور : ولماذا يقيمون عندك ؟

مدام ريمى : لأن سان موريس ليس بها فندق غير

هذا الفندق ، ومع ذلك فلا أحسبهم سيئى

البحث أن نزلوا عندنا انتظاراً لإقامة

المبنى الجديد ، فإن علاجهم يتم هنا ،

ونحن نتبع بدقة كل التعليمات الطبية

الحديثة . .

الدكتور : ولكن من أين جاءوا ؟

مدام ريمى : المرضى ؟ لأنهم منذ وقت يأتون من كل

حذب وصوب ومن قبل كانوا أناساً

غرباء على سفر .

الدكتور : لا أفهم شيئاً . .

مدام ريمى : نعم مسافرون نزلوا سان موريس لعمل

لهم ، وبلغ أسماعهم اسم الدكتور كنوك  
من أهالي البلد كلهم ، فحدثوا أنفسهم  
أن ينتهزوا الفرصة ويطلبوا استشارته ،  
وبالطبع كانوا يجهلون حالتهم من الوجهة  
الصحية وإن خامرهم شك ، بأنهم ربما  
يعانون مرضاً من الأمراض ، وإذا  
لم يكن حسن حظهم قد قادهم إلى سان  
موريس لكان نفر منهم قد أهيل عليه  
التراب اليوم . .

الدكتور : ولماذا كانوا سيموتون ؟  
مدام ريمى : لأنهم فى غفلتهم عن حالتهم الصحية  
كانوا سيداومون على شرب الخمر والتهام  
الطعام وارتكاب مآث من الحماقات  
الأخرى .

الدكتور : وكل هؤلاء المسافرين بقوا هنا ؟  
مدام ريمى : نعم ، فإنهم كانوا إذا عادوا من زيارة  
الدكتور كنوك سارعوا إلى الرقاد فى  
فراشهم وبدأوا العلاج ، أما اليوم فالحال

لم يعد كذلك ، فإن النازلين عندنا  
قد قاموا بالرحلة إلينا خصيصاً ،  
ومما يكرهني أن الحجرات لا تكفيهم  
وسنشىء مبنى آخر . :

الدكتور : هذا شيء عجيب جداً . :

مدام ريمى : [ بعد تفكير ] حقاً إن ما تراه يبدو  
ولا ريب شيئاً عجيباً لك أنت ،  
ولو كانت لك حياة مثل حياة الدكتور  
كنوك لدعوت الله أن ينقذك . .

الدكتور : هيه . . وكيف حياته هو إذن ؟

مدام ريمى : حياة رجل محكوم عليه بالأشغال الشاقة ،  
فما يكاد ينهض من فراشه حتى يجرى  
يوذى زيارته ، وفى الساعة العاشرة يأتى  
للفندق وستراد بعد خمس دقائق ،  
ثم يؤوب إلى عيادته فيستقبل المرضى ،  
ثم يخرج من جديد يوذى زيارته ، من  
أول المركز إلى آخره ، لا أنفى أن  
لديه سيارة : سيارة جديدة فخمة يقودها

بسرعة كبيرة ، ولكنى واثقة أنه تمر  
عليه أحيان كثيرة تقتصر فيها وجبة الغذاء  
على «ساندويتش» واحد . .

الدكتور : يحدث لى أيضاً في اليوم أن أكتفى  
«ساندويتش» . .

مدام ريمى : آه كان في إمكانك هنا أن تنعم بحياة  
معتشمة هادئة [ تمل لداعته ] أتذكر  
لعبك «للبياردو» في مقصف الفندق ؟

الدكتور : لا مفر من الاعتقاد أن الناس كانوا في  
زمانى يتمتعون بصحة أحسن . .

مدام ريمى : لا تقل هذا يا مسيو بارباليد ، إن الناس  
هنا كانوا لا يزالون بعلاج أنفسهم ،  
هذا هو الفرق ، هناك ظن بأننا أهل  
الريف أناس أجلاف لم يتمدنوا ، وأننا  
لانبالى أقل مبالاة بسلامة الأبدان ،  
وأننا ننتظر حتى تأذن ساعتنا فننشق .  
كما ينشق الحيوان ، وأن الدواء والعلاج  
والأجهزة الطبية وكل مبتكرات المدينة

الحديثة هي جديرة بسكان المدن ، هذا خطأ يا مسيو باربايد ، فإننا لا نقل في تقدير أنفسنا عن بقية الناس ، وإذا كان الواحد منا لا يجب أن يبذر نقوده ، فإنه لا يتردد أن يدفع ثمن ما لا غنى عنه ، أما أنت يا مسيو باربايد فلا تتصور الفلاحين إلا كما كانوا في الماضي يتعاملون بالميم لا بالقرش ويفضلون فقد عين أو ساق على شراء دواء بثلاثة فرنكات ، لقد تغيرت الأحوال والحمد لله . .

باربايد : ليكن الأمر كذلك ، فإذا كان الناس أصبحوا يضيعون ذرعاً بحسن صحتهم ويريدون التمتع بفخفخة عد أنفسهم من المرضى ، فهم يخطئون إذا لم يحققوا غرضهم دون أن يبالوا بأي شيء آخر ، ثم إن هذا كله مكسب للطبيب .

مدام ريمى : [ وهي تحتد ] على كل حال لن يسمح

لك أحد أن تصف الدكتور كنوك بأنه رجل يعرى وراء مصلحته الشخصية ، فإنه هو الذى بدأ لأول مرة العيادة المجانية التى لم تكن نعرفها هنا ، أما عن ذهابه لزيارة مريض ، فإنه لا يطلب أجراً إلا ممن هو قادر على دفعه ، ولو فعل غير ذلك لكان فعله مدعاة للأسف ، ولكنه لا يقبل شيئاً قط من الفقراء ، إن الناس تشاهده يقطع المركز بطوله ينفق عشرة فرنكات ثمناً للبينزين ثم يقف بسيارته النخمة أمام كوخ عجوز فقير لا يمتلك حتى قطعة جبن من لبن الماعز لتعطيها إليه ، ولا ينبغي كذلك التلميح بأنه يقنع الأصحاء بأنهم مرضى ، فانا أول من أشهد على نفسى بأننى جعلته يكشف علىّ ربما عشر مرات منذ أن أصبح يأتى للفندق كل يوم وفى كل مرة يكشف على بنفس الصبر والأناة

من الرأس إلى القدم مستعيناً بكل أدواته  
وأجهزته ويكرس لي ربيع ساعة على  
الأقل وكان يقول لي في كل مرة إنني  
غير مصابة بمرض وأنه لا داعي للقلق ،  
وما على إلا أن أتمتع بماكلى ومشربي  
وحاولت جهدي أن أدفع له أجراً ولو  
مبلغاً قليلاً ، فكان يأبى ، وإنه يخص مسيو  
برنار المدرس بنفس المعاملة بعد أن  
استحوذت عليه فكرة أنه من حاملي  
الميكروبات ، واسودت الحياة في  
عينيه ، فن أجل تطمينه لم يراجع الدكتور  
كنوك عن تحليل برازه ثلاثة مرات  
ولكن هاهو ذا مسيو موسكيه قادم  
بعد أن أخذ في حضور الدكتور عينة من  
دم شاغل الحجرة رقم ١٥ ، ويمكنك  
التحدث إليه [ بعد فترة تفكير ] ثم اعطني  
على كل حال حقيقتك وسأدير لك  
مسكناً . . .

## المشهد الرابع

بارباليد - موسكيه

موسكيه : [ أصيح يرتدى حلة من آخر طراز ] الدكتور غير موجود هنا ؟ آه . . الدكتور بارباليد ؟ كأننى أرى شبحاً وأيم الحق ، لقد رحلت عما منذ أمد بعيد .

بارباليد : بهذا القدر بدا رحيلى بعيداً ؟ كلا . . فإرحلت إلا منذ ثلاثة أشهر .

موسكيه : هذا حق ، ثلاثة أشهر ، شىء مدهش [ يقول بلهجة عطف ] أنت مسرور فى ليون ؟

الدكتور : مسرور جداً . .

موسكيه : آه .. الحمد لله . . لعلك وجدت بها عيادة لما زبائنها المخلصون .

الدكتور : هيه . . وزدتهم بنسبة الثلث ، صحة مدام موسكيه طيبة ؟

- موسكيه : أحسن من الأول بكثير . .
- الدكتور : هل كانت مريضة ؟
- موسكيه : ألا تذكر هذا الصداع الذي كانت تشكو منه في أكثر الأيام ؟ لعلك لا تذكره لأنه لم يكن في اعتبارك شيئاً مهماً ، ولكن ما كاد الدكتور كنوك يفحصها حتى اكتشف أنها تعاني من نقص في إفرازات المبايض ووصف لها علاجاً بالهرمونات كان مفعوله مدهشاً .
- الدكتور : هل انقطع ألمها ؟
- موسكيه : لم يبق أثر لهذا الصداع القديم ، أما ثقل الرأس الذي لا يزال يفتأها فغير ناتج إلا من الإجهاد وهو ظاهرة طبيعية ، ذلك أننا أصبحنا مرهقين بالعمل وسأستعين بمساعد صيدلي ، فهل تعرف واحداً يعتمد عليه توصيني به ؟
- الدكتور : كلا ، ولكن سأجعل طابك في بالي . .

موسكيه : آه ، لقد انقضت تلك المعيشة المادئة التي -

نعيشها في الماضي ، وما قولك أنني حتى  
وأنا آوى إلى فراشي في الساعة الحادية  
عشرة والنصف مساءً لآكون قد أنجزت  
تعضير كل الروشتات ؟

الدكتور : باختصار قد وقعت على منجم من الذهب..

موسكيه : أوه ، من المؤكد أنني ضاعفت دخلي

خمس مرات ، وحاشا لي أن أشكو من  
ذلك ، ولكن لي أسبابا تحملني على الرضا  
لأنني يا عزيزي الدكتور بارباليد أحب  
مهنتي وأحب أن أشعر أنني رجل مفيد  
وكثرة العمل تسرنى أكثر من فراغ  
يسلمني إلى التفكير في همومي ، مسألة  
مزاج ، ولكن ها هو ذا الدكتور قادم..

### المشهد الخامس

بارباليد - موسكيه - كنتوك

كنتوك : سلام عليكما ، صباح الخير يا دكتور

بارباليد ، كنت أفكر فيك ، هل كانت  
رحلتك طيبة ؟

- الدكتور : طيبة جداً . .  
كنوك : هل جئت بسيارتك ؟  
الدكتور : كلا ، بل بالقطار . .  
كنوك : حسن ، جئت لقبض القسط : . أليس  
كذلك ؟  
الدكتور : المسألة أنني جئت ، ولا بأس أن أنتهز  
الفرصة . .  
موسكيه : أترككما يا سادة [ إلى كنوك ] سأصعد  
إلى الحجرة رقم ١٥ . .

### المشهد السادس

بارباليد - كنوك

- الدكتور : لن تهمنى الآن أنني ضحكت عليك . .  
كنوك : على الأقل كانت هذه نيتك يا زميلي  
العزيز . .  
الدكتور : أنت لا تنكر أنني تخليت لك عن عيادتي

- وأنها عيادة تساوى الكثير . .
- كنوك : أوه . . كان فى مقدورك أن تبقى عليها ،  
إذن لما ضايق أحدنا الآخر . . هل أنبأك  
مسيو موسكيه بالتناجح الأولى ؟
- الدكتور : نعم . . حدثونى عنها . .
- كنوك : [ ينقب فى تفضلة النقود ] سأطلعك بصفة  
سرية بيننا على بعض الرسوم البيانية التى  
أعددتها ، وستجد لها بسهولة علاقة  
بالحديث الذى دار بيننا منذ ثلاثة أشهر . .  
لتكلم عن العيادة ، أولاً : هذا الخط  
البياني يمثل عدد المترددى على العيادة  
أسبوعياً ، ويبدأ الخط من نقطة تمثل  
هذا العدد أيامك ، وكنت لا أعرف هذا  
العدد وقدرته بخمسة أشخاص :
- بارباليد : خمسة أشخاص فى الأسبوع ؟ ليست  
مبالغة منك إذا قلت إنهم كانوا ضعيف  
هذا العدد على الأقل يا زميلى العزيز .
- كنوك : فليكن . . ها هى أرقامى أنا ، وهى

بطبيعة الحال لا تشمل الكشف المجاني  
يوم الاثنين ، : منتصف أكتوبر : ٣٧ ،  
آخر أكتوبر : ٩٠ آخر نوفمبر ١٢٨ ،  
آخر ديسمبر : لم أجمع العدد بعد ، ولكن  
الرقم سيزيد عن ١٥٠ ، وعلى كل حال فإنني  
سأعدل تضيق الوقت عن الاهتمام بنمو  
عدد الاستشارات ولن أعنى إلا بالمتنفعين  
بعلاج طويل ، فإن الكشف في العيادة  
لا يستحوذ إلا على نصف اهتامى ، فهذا  
فن ماذج يشبه الصيد بالشبكة ،  
أما العلاج الطويل فيشبه زرع صغار  
السماك في مياه الصيد .

الدكتور : عفواً يا زميلي العزيز . . هل أرقامك  
دقيقة غاية الدقة ؟

كنوك : نعم . . غاية الدقة . .

الدكتور : معنى هذا أنه تأتني في أسبوع واحد أن  
قبل ١٥٠ شخصاً من أهالى مركز سان  
موريس تكبد مشقة الانتقال من منازلهم

للوقوف في صف أمام باب العيادة وفي  
يدهم أجر الكشف ، لم يوث بهم بالقوة  
أو بتأثير ضغط ما . .

كنوك : لم نكن في حاجة للاستعانة لا بقوة  
البوليس ولا بقوة الجيش . .

الدكتور : يستعصى على أن أجد لذلك تفسيراً .

كنوك : لنمض في متابعة الخط البياني الذي يمثل

عدد المرضى تحت العلاج ، أول أكتوبر :

كانت الحالة كما تركتها لي : عدد

المرضى الذين يداومون على العلاج في

منازلهم ، العدد : صفر . أليس كذلك ؟

[ يدى الدكتور بارباليد حركة تم عن تبرمه

بغير حماس بالموافقة ] - آخر أكتوبر :

العدد ٣٢ ، آخر نوفمبر : العدد ١٢١ ،

آخر ديسمبر : سيترأوح العدد بين

. . ٢٤٥ ، ٢٥٠ . .

الدكتور : يخيل إلى أنك تعبني ساذجاً . .

كنوك : أما أنا فلا أجد أنها أرقام عالية جداً ،

فلا تأس أنه يوجد بمركز سان موريس  
٢٨٥٣ منزلاً ، من قاطنيها ١٥٠٢ أسرة  
يزيد دخل كل واحد منها على ١٢,٠٠٠  
فرنك .

الدكتور : وما شأن دخل الأسر في الأمر ؟

كنوك : [ يتجه إل حوض الفيل ] لا مجال أن

تفرض عبء مريض مزمن على أسرة  
لا يبلغ دخلها اثني عشر ألف فرنك ،  
فهذا جور غشوم ، أما عن الأسر التي لها  
هذا الدخل ، فكذلك لا مجال للتشكير  
في تطبيق خطة واحدة عليها ، فجعلتها  
من أربع درجات ، فالخطة المرسومة  
لأدنى الدرجات هي للأسر التي يتراوح  
دخلها بين ١٢,٠٠٠ ، ٢٠,٠٠٠ ،  
ولا تتضمن إلا زيارة واحدة كل أسبوع  
وخمسين فرنكاً تقريباً في كل شهر لثمن  
الأدوية ، والدرجة العليا - درجة  
« اللوكس » - هي للأسر التي يعلو دخلها

على ٥٠,٠٠٠ فرنك ، فهي تتضمن  
أربع زيارات في الأسبوع على الأقل ،  
وثلاث مائة فرنك شهرياً للمصاريف  
المختلفة : أشعة إكس ، علاج بالراديو  
تدليك كهربائي .. تحليل . . الخ .

الدكتور : ولكن كيف تعرف دخل زبائنك ؟

كتوك : [ يبدأ عمل يديه بعناية فائقة ] ثق أنني

لا أبلأ لمأمور الضرائب وحسناً أفعل ،

فعلى حين أنني أحصيت ١٥٠٢ دخلاً

يزيد على ١٢,٠٠٠ فرنك . فإن عددها

المقيد عند مأمور الضرائب لا يزيد على

١٧ فقط ، وأكبر دخل مبيح في إقرار

مقدم له لا يزيد على ٢٠,٠٠٠ فرنك ،

وحقيقة هذا الرقم عندي هي ١٢٠,٠٠٠

فلا تطابق قطع بين إحصائياتي وإحصائياتك ،

وماذا بهم مأمور الضرائب ؟ لا تنس أنه

موظف حكومة . .

الدكتور : ولكن من أين تستقي معلوماتك ؟

كنوك : [ بيتهم ] من مصادر عديدة ، إنه عمل  
ليس بالبين شغلنى طوال شهر أكتوبر  
بأكله ، وأنى أصحح الأرقام باستمرار ،  
انظر إلى هذه - حلوة . . أليس كذلك ؟

الدكتور : كأنها خريطة للمركز ، ولكن ما معنى  
هذه العلامات الحمر ؟

كنوك : إنها خريطة التخلخل الطبي ، فكل علامة  
حمراء تدل على مكان مريض غير  
منقطع ، ولو اطلعت على هذه الخريطة  
قبل شهر واحد لكنت رأيت هنا بقعة  
ملونة بلون رمادى هي بقعة شابرير .

الدكتور : أفندم ؟

كنوك : نعم هذا هو اسم القرية التي تقع وسط  
هذه البقعة ، وهي التي وجهت إليها أول  
عنايتي في الأسابيع الماضية ، أما اليوم  
فإن البقعة لم تختف بعد ولكنها قسمت  
أجزاء ، أليس كذلك ؟ ونظرتك

لا تبين هذه البقعة إلا بعد تدقيق

[ فترة صمت ]

الدكتور : حتى لو أردت أن أخفي عنك دهشتي  
يا زميلي العزيز لما استعطت ، ومحال لي  
أن أشك في نتائجك ، فقد سمعت تأييداً  
لها من كل جانب ، أنت رجل مدهش ،  
وقد ينكس غيري من الأطباء عن أن  
يصارحك بمثل هذا الرأي وهم يبطنونه  
وإلا لما كانوا أحلا لحمل لقب دكتور ،  
ولكن أسمح لي أن أفصح وأوجه إليك  
سؤالاً واحداً ؟

كنوك : تفضل . .

الدكتور : إن ابتكرت خطة مثل خطتك وأصبحت  
في قبضة يدي كما هي في قبضة يدك  
وإن أصبح كل ما يبقى على بعد ذلك  
هو تطبيقها .

كنوك : نعم . .

الدكتور : ألا يساورني شيء من تقريع الضمير ؟

- [ صت ] إني أنتظر إجابتك . .
- كنوك : يخيل إلى أن الجواب مرده إليك أنت . :
- الدكتور : لاحظ أنني لا أقطع بشيء ، إنما أثرت  
مسألة حساسة جداً [ صت ] . :
- كنوك : حبذا لو أفصحت عن غرضك بوضوح  
أكثر .
- الدكتور : ستقول إنني رجل متشدد معقد ، ولكن  
ألا تكون مصالحة المريض طبقاً لخطتك  
هي في المحل الثاني بعد مصلحة الطبيب ؟
- كنوك : يا دكتور بارباليد ، أنت تنسى أن هناك  
مصلحة أسمى من هاتين المصلحتين . .
- الدكتور : وما هي ؟
- كنوك : مصلحة الطب ذاته ، فهي المصلحة  
الأولى التي أهتم بها [ صت ، بارباليد  
مستغرق في التفكير ] .
- بارباليد : نعم . . نعم . . نعم .
- [ وابتداء من تلك اللحظة إلى نهاية المسرحية  
تتحول إصادة المسرح شيئاً فشيئاً إلى إصادة

المبادئ والمستشفيات ، ويغلب عليها كالمهد بها  
الأضرار الحفر والبنفسجية بدرجة تفوق أنوار  
دور بقية خالق الله [ .

كنوك : أنت تسلمنى مركزاً يسكنه عدة آلاف  
يقفون من الطب على الحياض لا قرار له ،  
فهمتى هى أن أدفعهم إلى اتخاذ القرار ،  
أن أحلهم إلى أن يكون وجودهم فى  
الحياة وجوداً طيباً فأجعلهم يلزمون  
النراش وأنتظر ما ينجم عن هذا الرقاد  
من سفور مريض بالسلسل أو مرض  
بالاضطراب العصبى أو بتصلب الشرايين :  
إنسان مريض أيا كان ، ولكن إنساناً  
مريضاً على كل حال ، ولا شئ  
يضايقتنى أكثر من هذا الذى لا هو طالع  
ولا نازل ، أى الرجل الذى لا يشكو من  
مرض كما يقال .

الدكتور : ولكنك لا تستطيع مع ذلك أن تجعل  
المركز كله يرقد فى النراش . .

كنوك

: [ وهو ينشف يديه ] هذه مسألة يمكن مناقشتها ، فإني أعرف خمسة أفراد من أسرة واحدة مرضوا جميعاً ولزموا الفراش في وقت واحد ، ومع ذلك لم ترتبك حياتهم ، واعتراضك هذا يذكرني بهؤلاء الأساتذة في علم الاقتصاد الذين يزعمون أن الحرب الحديثة لا يمكن أن تطول أكثر من ستة أسابيع ، والحقيقة أننا جميعاً تنقصنا الشجاعة ، ولا يجروء إنسان حتى ولا أنا على المضي إلى أقصى المدى فيجعل كل الأهالي يلزمون الفراش لانتظار سفور المرض ، فليكن ، إني أوافقك على أنه ينبغي أن يظل هناك أناس أحياء ليعنوا على الأقل بالآخرين أو ليوثقوا قوة احتياطية وراء جيش المرضى المشغولين بأمراضهم ، ولكن الذي لأحبه أن تتم الصحة عن التحدي فإن هذا كما ينبغي أن تعرف

أنت شيء لا يطاق ، لذلك نحن نغمض  
العين على بعض الحالات ، وتترك على  
وجوه بعض الناس قناع الصحة ، أما إذا  
جاءوا فيما بعد يتبخثرون أمامنا ويهزأون  
بنا . فإني محق أن أغضب ، وهذا  
ما حدث هنا لمسيو رافاليس . .

الدكتور : آه هذا العملاق ؟ هذا الذي يفاخر  
بأنه يستطيع حمل حماته على ذراعيه  
الممدودتين ؟

كنوك : نعم . إنه ظل يتحداني ثلاثة أشهر ثم وقع  
في يدي .

الدكتور : ماذا ؟

كنوك : والآن راقد في الفراش لأن جمعجته  
بدأت تضعف عند الأهالي ذنهم الطبي .

الدكتور : ولكن تبقى بعد ذلك مشكلة عويصة . .  
كنوك : ما هي ؟

الدكتور : أنت لا تشكر إلا في مهنة الطب ،  
ولكن ماذا عسى أن تكون عليه حالة

بقية المهنة ؟ ألا تخشى أن يؤدي تعميم  
تطبيق خططك إلى تراخ بين في مختلف  
أوجه النشاط الاجتماعي مع أن بعضها له  
قيمتها ؟

كنوك : ليس هذا من شأني ، فأنا لا أشتغل  
إلا بالطب . .

الدكتور : صحيح أن المهندس وهو ينشئ سكة  
حديدية لا يسأل نفسه عما عساه يكون  
رأى طبيب القرية . .

كنوك : لافض فوك [ يتجه إلى مؤخرة المسرح  
ويقترّب من النافذة ] تعال يا دكتور  
بارباليد ، ألق نظرة من هنا ، أنت تعرف  
المشهد الذي يطالع من يطل من هذه  
النافذة ، ولا شك أنه لم يفتك أن تتملى  
من هذا المنظر بين دورين من أدوار  
لعبة البلياردو الذي كنت مغرماً به ،  
فأمامك على بعد ، ربوة أليجر التي ينتهي  
إليها حدود المركز ، وعلى اليسار قرية

مسكلا وتريبور ؛ وفي هذه الناصية ، لو لم  
تكن مساكن سان موريس قد تضخمت  
كالورم ، لكننا أبصرنا كل دساكر الوادى  
متتالية واحدة بعد أخرى . لاشك أنه  
لم يستأثر بنظرك إلا جمال المنظر الطبيعي  
الذى أنت به مشغوف ، كنت تراه  
كصعيد ريف غليظ الطبع لا تكاد الحياة  
تدب فيه ، وهأنذا اليوم أقدمه لك ،  
وقد تغلغل الطب فى أرجائه ، وهبت  
النيران التحتية لمهنتنا تقلقله وتسرى  
فى جنباته ، وفى أول يوم ركزت نفسى  
هنا - أى فى صبيحة يوم وصولى - كنت  
أبعد من أن يتملكنى الزهو إذ شعرت أن  
وجودى هنا لن يؤبه له كثيراً ،  
فستقف هذه الأرض الشاسعة تعرض  
عنى وعن أمثالى بوقاحة . أما اليوم فإنى  
مطمئن مستريح لمكانى بها كما يطمئن  
العازف المحنك لآلته ، وأمامك مائة

وخمسون منزلاً قد لا تراها كلها بسبب  
البعد وستور الأشجار ، إن بها مائتين  
وخمسين حجرة ، في كل واحدة منها  
شخص يؤمن بالطلب ، أو بعبارة أخرى  
بها مائتان وخمسون فراشاً يتمدد فوق  
كل منها جسد يشهد بأن الحياة لها معنى  
هو بفضلى أنا معنى طبي : ويزداد المنظر  
بها بالليل حين تضاء الأنوار ، والفضل  
في أغلب هذه الأنوار راجع إلى ،  
أما غير المرضى فيرقدون في الظلمات -  
وقد أسقطت حسابهم ، ولكن المرضى  
قد استبقوا نور مصباح أو شمعة . وكل  
ما بقى على هامش الطلب فقد خلصنى  
الليل منه ومن مضايقته وتحديه . وينقلب  
المركز كله بالليل إلى فلك أنا مخالفه  
الدائم وهأنذا لم أحدثك بعد عن  
نواقيس الكنائس ، أعلم أن وظيفتها  
الأولى لهذا الخلق كله أصبحت أنها

تذكرهم بمواعيد تناول الدواء ، وقرعها  
هو نداء تعليماتي ، تصور أنه بعد بضع  
لحظات ستدق الأجراس معلنة حلول  
الساعة العاشرة ، والساعة العاشرة عند جميع  
مرضاي هي موعد قياس الحرارة للمرة  
الثانية من الشرح ، أي بعد بضع لحظات  
ستتخذ مائتان وخمسون ترمومترا أماكنها  
في وقت واحد :

الدكتور : [ وقد غلب عليه التأثير يملك ذراع كنوك ]  
يا زميلي العزيز ، لي اقتراح أريد أن  
أقدمه إليك . :

كنوك : ما هو ؟

الدكتور : إن رجلا مثلك لا يجد مكانه الجدير به  
في مركز بالريف بل تلزمك مدينة  
كبيرة . .

كنوك : سأفوز بها عاجلا أو آجلا . :

الدكتور : ولكن حذار ، أنت الآن في ذروة

قواك ، ولن تمضى بضع سنوات حتى  
تكون قد وهنت ، هذه هي تجربتي  
فتق بها :

كنوك : إذن ؟

الدكتور : إذن ينبغي لك ألا تنتظر : هـ

كنوك : هل تعلم مكاناً كالذي تعنيه تدلني عليه ؟

الدكتور : مكاني أنا ؟ إنني أعطيه لك ، وما بعد

ذلك برهان على إعجابي بك :

كنوك : نعم ، وأنت ما هو مالك ؟

الدكتور : أنا ؟ أنا سأقنع بالعمل من جديد في

سان موريس : هـ

كنوك : نعم : هـ

الدكتور : بل سأذهب إلى أبعد من ذلك : هـ فقد

بقي عليك عدة آلاف من الفرنكات

دينا لي في ذمتك سأتنازل عنها هدية مني

إليك : هـ

كنوك : نعم . في الحقيقة أنك لست غراً كما قد  
يظن بك . .

الدكتور : وكيف ؟

كنوك : أنت لا تحسن الإنتاج ، ولكنك تجيد  
البيع والشراء ، وهذه هي صفة التاجر : :

الدكتور : أوكد لك .

كنوك : بل إنك في هذه المسألة بالذات تثبت  
أنك تجيد أيضاً فهم النفوس ، فقد  
حسبت أن هيامي بالمال سينقضي لحظة  
تدفقته على ، وأن تطبيق خطتي في التغلغل  
الطبي على حي واحد أو اثنين من أحياء  
ليون ، كفيل أن ينسني رسومي البيانية عن  
سان موريس ، آه ، نعم ، ليس في  
نتي أن أبقى هنا حتى تركبني الشيخوخة  
ولكن شتان بين هذا وبين أن أرتمي على  
أول عرض يقدم إلي : :

## المشهد السابع

كنوك - بارباليد - موسكيه

[ موسكيه يخترق الصلاة متسللاً ليخرج ، يستوقفه

كنوك ]

كنوك : اقرب يا صديقي ، أتعرف ماذا يقترح

على الدكتور بارباليد ؟ أن نتبادل بيننا

العيادتين فأذهب أنا إلى ليون ويعود

هو إلى هنا .

موسكيه : هذه دعابة . .

كنوك : أبدأ ، بل هو عرض جدى جداً . :

موسكيه : كأننى سقطت من شاحق ، ورفضت

العرض بطبيعة الحال . .

الدكتور : ولماذا يرفضه الدكتور كنوك ؟

موسكيه : [ موجهاً الحديث إلى الدكتور بارباليد ] حين

يكون البدل هو النزول عن بندقية ثمنها

ألفان من الفرنكات نظير مسدس قديم

فإن من عادة العقلاء غير المغفلين أن يرفضوا مثل هذا البدل ، فكان في إمكانك أن تقترح على الدكتور كنوك تبادل السيارات . .

الدكتور : أرجو أن تثق بأني أملك في ليون عبادة من الدرجة الأولى ، فقد خلت فيها الدكتور مارلو . وكانت له فيها شهرة مستفيضة . .

موسكيه : هذا كلام كان يصح لو قيل منذ ثلاثة أشهر . ففي ثلاثة أشهر ، يقطع السائر شوطاً في الطريق هو للنازل أطول منه للصاعد [ إن كنوك ] : ثم إن أهالي سان موريس يا عزيزي الدكتور لن يقبلوا أبدا . .

الدكتور : وما دخلهم في هذه المسألة ؟ نحن لن نسألهم رأيهم . .

موسكيه : ولكنهم سيصارحونك به ، ولا أزعم لك أنهم سيعمدون إلى إقامة المتاريس في وجهك ، فإنها ليست من عادة أهل هذا

البلد ، وشوارعهم غير مبلطة ولكن أهالي  
البلد يستطيعون تشييعك إليها [ يشاهد مدام  
ريمى ] وعلى كل حال فستحکم أنت  
بنفسك . .

[ ندخل مدام ريمى تحمل دففاً من الأطباق ]

## المشهد الثامن

جميع من سبق ومام ريمى

موسكيه : يا مدام ريمى إليك بخبر سار ، إن الدكتور  
كنوك سينارقنا ، الدكتور بارباليد  
سيعود إلينا .

مام ريمى : [ تترك الأطباق تكاد تهوى من يدها ، ولكنها  
تلحقها قبل السقوط إلى الأرض وتمعضها كزهرة  
عل صدرها ] آه . . كلا . . كلا . . :  
أقول لكم إن هذا لن يحدث أبداً  
[ إن كنوك ] اللهم إلا إذا خطفك ليلا  
بطائرة ، وإلا فلانى سأبلغ النبأ إلى أهل

البلد ولن يتركوك ترحل ، وما أسهل  
عليهم أن يخرقوا إطارات سيارتك ، أما فيما  
يتعلق بك أنت يا مسيو بارباليد فإن كان  
هذا هو الغرض الذى جئت من أجله  
فيؤسفنى أن أبلغك أننى لأجد لك حجرة  
خالية عندى ، وبالرغم من أننا فى عز الشتاء  
فلا مفر لك من النوم فى العراء ] تنبه إل  
منضدة لتضع أطباقها عليها ]

الدكتور : [ وهو فى شدة التأثر ] طيب . . طيب . . إنها

فضيحة مخجلة أن يكون هذا هو شعور  
هؤلاء الناس نحو رجل كرس لهم خمساً  
وعشرين سنة من حياته ، ما دام لم يبق  
فى سان موريس مجال إلا للدجالين فأنى  
أفضل كسب قوتي بشرف فى ليون ،  
أكسبه بشرف وبوفرة أيضاً ، وإذا كنت  
قد فكرت لحظة فى أن أسترجع عيادتي  
القديمة فلأن صحة زوجي وأقولها بلا خفاء  
لم يوافقها هواء المدن الكبيرة ، يا دكتور

كنوك دعنا نصفي الحساب في أقرب وقت  
لأنى سأرحل هذا المساء . .

كنوك : حاشا أن ترضى إهانتنا ، إن مدام ريمى  
فى دهشتها لسماع خبر هو فى الحقيقة  
غير صحيح وبسبب ما لحقها من ذعر أن  
تقتط أطباقتها ، لم تستطع ضبط لسانها ،  
إن كلامها لم يعسن التعبير عن فكرها ،  
وها أنت ذا ترى بنفسك أن مدام ريمى  
بعد أن اطعأنت على سلامة أطباقتها قد  
استعادت سماحتها وأصبحت عيناها  
لا تنطقان إلا بما تكنه لك هى وأهل سان  
موريس جميعاً من عرفان بالجميل لهذه  
الخدمة الصامته التى كرسى لها حياتك  
بينهم طوال خمسة وعشرين عاماً . .

مدام ريمى : هذا أكيد ، وعهدنا به دائماً أنه رجل  
طيب جداً ، وكان يودى واجبه بيننا كأى  
طيب آخر لو كان مكانه طالما كنا نحن

قادرين على أن نعيش في غفلة عن مزايا  
الطب ، ولم يكن في ذلك ضير إلا حين  
عم الوباء ، فلن تزعم لى أن طبيباً جديراً  
بهذا الاسم كان يترك هذا العدد الوفير  
من الناس يموت في وباء الحمى الإسبانية .

الدكتور : طبيب جدير بهذا الاسم ؟ أى كلام  
أصبحنا نسمعه ؟ أتظنين يا مدام ريمى أن  
يقدر طبيب جدير بهذا الاسم على مقاومة  
وباء عالمى ، شأنك في هذا تقريباً شأن  
من يطلب إلى قوة غنر البلد ومقاومة  
زلازل ، فصبراً يا مدام ريمى إلى الوباء  
القادم . لرى إذا كان الدكتور كنوك  
سيكون أكثر نجاحاً منى . .

مدام ريمى : الدكتور كنوك : استمع إلى يامسيو  
بارباليد إني لا أعمد إلى مجادلتك في مسألة  
تتعلق بالسيارات لأنى لا أفهم في السيارات  
شيئاً ولكنى بدأت أفهم ما هو المريض ،  
إذن أستطيع أن أقول أن أناساً نجد الضعفاء

منهم لائذين بالفراش هم أقدر من غيرهم  
على أن يواجهوا بقدوم ثابتة وباءك العالمى  
القادم ، وكما قال مسيو برنار منذ أيام فى  
محاضراته : المصيبة هى التعرض لمفاجأة  
تدهمتنا كالرعد فى سماء صافية . .

موسكيه : يا عزيزى الدكتور إني أنصحك ألا تثير  
هنا خلافات من هذا النوع : فإن مقام  
الطب والصيدلة قد توطد واستتب بيننا  
وشاع إدراكه بين الناس ، وأسأل من  
ثقت تجده خصماً عنيداً لآرائك .

كنوك : ينبغي ألا تتوه فى جادل مذهبي فقد تختلف  
مدام ريمى والدكتور وبارباليد فى الرأى  
ومع ذلك تظل بينهما رابطة طيبة  
[ لك مدام ريمى ] ألدراك حجرة للدكتور  
بارباليد ؟

مدام ريمى : لا توجد حجرة . فكما تعلم لا يتأتى لنا  
أن نجد مكاناً لكل المرضى ، فإذا جاء

مريض فلعلنى أُنصح في تدييز مكان وأفعل  
المستحيل فإن هذا من واجبي . .

كنوك : ولكن إذا قلت لك إن الدكتور بارباليد  
ليس في حالة تمكنه من السفر اليوم بعد  
الظهر ، ولا بد له من الوجهة الطبية أن  
يستريح يوماً كاملاً . .

مدام ريمى : إذن الأمر يختلف ، ولكن الدكتور  
بارباليد لم يأت لطلب الكشف عليه . .

كنوك : حتى ولو كان هذا غرضه ، فإن واجب  
الكتان في مهنتنا يقتضيني أن لأصرح  
بذلك علناً . .

الدكتور : ما الذى ترى إليه ؟ إننى سأرحل اليوم بعد  
الظهر وهذا كل ما فى الأمر . .

كنوك : [ ينظر إليه ] يا زميلي العزيز ، إننى جاد  
في قولى لك كل الجدل لاغنى لك عن أن  
تستريح لمدة ٢٤ ساعة ، إننى لأنصحك  
بالسفر اليوم وعند اللزوم سأمنعك من  
الرحيل . .

مدام ريمى : حسن . . حسن يا دكتور ، إننى كنت

لأعلم ذلك ، وسنجد لمسيو بارباليد فراشا

فاطمين ، هل ينبغى قياس حرارته ؟

كنوك : سنتحدث عن ذلك وشيكا [ تنسحب مدام

ريمى ] .

موسكيه : أترككما برهة يا سادتى [ إك كنوك : ] قد

كسرت إبرة وسأذهب إلى الصيدلة

لأخذ أخرى . .

## المشهد التاسع

كنوك - بارباليد

الدكتور : قل لى . . هل هو مزاح [ صت قصير ]

على كل حال إنى شاكرتك إذ ليس مما

ترتاح إليه نفسى أن أستأنف السفر هذا

المساء لمدة ثمانى ساعات [ فترة صت ]

فقد ولتى الشباب وأنا أعلم بحالى [ صت ]

إن طريقتك فى الاحتفاظ بهيئة الجسد

لما يدعو للإعجاب ، فنذ قليل كانت  
هينتك تم عن مكاشفتك لي بهذه الحقيقة  
[ ينهض ] نعم فما نفعني علمي ، إنك تمزح ،  
ولا بصري بخفايا أساليب الطيب مع  
مريضه ، نعم كانت لك هيئة ونظرة  
وشعرت كأنك نذت بهما تتفحص أعمق  
أحشائي ، آه هذه مقدره خارقة . .

كنوك : وماذا أفعل ؟ إن هذا يحدث لي رغماً مني  
بعض الشيء ، فما أكاد أجتمع بإنسان  
إلا وجدتنى لأأمالك نفسي من أن تتحرك  
لتشخيص عاى تشخيصاً مبدئياً ، حتى  
لو كان عملي هذا لغواً خالصاً وجهداً  
ضائعاً كله ولا مسوغ له . . [ يسير إليه  
وكانه يكاتفه بسر ] حتى بلغ بي الحال أننى  
أصبحت منذ زمن أمحاشى النظر في  
المرأة . .

الدكتور : ولكن هذا التشخيص ما تعنى به ؟ هل  
هو تشخيص عاى أم . . . ؟



كنوك : ما معنى وصفه بأنه تشخيص عابث ؟  
لقد قلت لك إنني إذا طالعت وجه إنسان ،  
فإن نظرتي ترتجى رغماً عني وبدون تفكير  
منى على علامات ، قد تخفى على العين حالة  
الجاد والشعر وإنسان العين وسرعة التنفس  
وعلامات أخرى من هذا القبيل ، وعندئذ  
أجد جهاز استخلاص التشخيص المستقر  
في أعماق يعمل من تلقاء ذاته ، ويذبحني  
لي أن أضبط نفسي وإلا أصبح طبعي هذا  
سخيفاً . . . !

الدكتور

: ولكن . . المسألة . . اسمح لي . . إنني

أصر بطريقة بلهاء قليلاً ، ولكن  
لي دوافعي . . حينما قلت لي إنني في حاجة  
إلى راحة يوم كامل ، هل كان قولك من  
قبيل المعايبة أم . . ؟ ومرة أخرى  
أقول إنني إذا كنت أصر على هذا السؤال  
فإن مسلكي هذا يرجع إلى هموم قد تكون  
تساورني ، فأنا لم يفتني منذ زمن أن ألحظ  
أشياء في نفسي ، فإني متلهف جداً ولو  
من الواجهة النظرية البحتة أن أعرف هل  
جاءت ملاحظاتي مطابقة لنتائج هذا  
التشخيص غير الإرادي الذي ذكرت أنه  
أصبح من طبيعتك . .

كنوك

: يا زميلي العزيز فلنؤجل هذا البحث الآن

[قرع أجراس] الساعة تدق العاشرة ،  
ينبغي لي أن أقوم بجولتي ، وستناول  
طعام الغداء معاً إن أردت أن تبرهن لي  
على صداقتك أما عن حالتك الصحية ،

وما ينبغي اتخاذه بشأنها فسنحدث عنه

بعد الظهر على مهل في عيادتي . .

[ يبتعد كنوك - تنتهى الساعة من ذق العاشرة -

باربايد غارق في التفكير وقد تهاوى على مقعد -

يدخل سيبيون والحادمة ومدام ريجي ، يحملون أدوات

طبية مألوفة . ويسرون متتابعين في صف واحد

تفرهم أضواء عالم الطب ]

[ سمار ]

